جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة ماستر

لغة و أدب عربي
دراسات أدبية
أدب عربي قديم

رقم: أ.غ.ق/22

إعداد الطالبتين:
هاجر العيشاوي
سارة مومي
يوم: / /2022

البعد الفكري والفنّي في أدب التوقيعات في العصر العباسي "نماذج مختارة"

لجنة المناقشة:

عبد الحميد جودي	أ.م.أ	جامعة بسكرة	مناقشا
حسان زرمان	أ.م	جامعة بسكرة	مشرفا
فيصل معامير	أ.م.ب	جامعة بسكرة	رئيسا

السنة الجامعية : 2021-2022

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى من شجعني على المثابرة طوال عمري، إلى الرجل الأبرز في حياتي

(والدي العزيز)

إلى من بـــها أعلو، وعليها أرتكز، إلى القــلب المعطاء

(والدتي الحبيبة)

إلى من بذلوا جهدًا في مساعدتي وكانوا خيرَ سندٍ

(إخـواني وأخواتي)

إلى أسرتي إلى أصدقائي وزملائي

إلى كل أساتذتي

إلى كل من ساهم ولو بحرف في حياتي الدراسية

إلى كل هؤلاء: أهدي هذا العمل، الذي أسال الله تعالى أن يتقبله خالصًا...

شكر وعرفان

الحمدلله عزّ وجل الذي منحنا القدرة والعزيمة لإتمام هذا البحث

نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل:

حسّان زرمان

الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته ومساعدته لنا في إتمام هذا البحث من بدايته لنهايته وإخراجه في أحسن صورة.

كما نتقدم بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة على تقبلهم عناء مناقشة هذا العمل

وأخيرا نتقدم بأسمى عبارات الإحترام والتقدير لكل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد.

مقدمة

مقدمة:

نشِطت الكتابة في العصر العباسي، وانبثق عنها جنس أدبيّ جديد، عُرف باسم فن التوقيعات، حيث يُعدُّ لونا مهما من ألوان التعبير الإنساني، شهدته شعوب العالم المتحضر القديم، منها الفرس والهند واليونان وغيرها، كما عرّفه العرب بالمثَل بعد أن عرفوا النُّظُم في العهد الرّاشديّ، مما يلفت الإنتباه إلى أن أدب التوقيع نشأ وترعرع عند العرب، إستجابة لضرورة حضارية، تميّزت بما كان يعلق به الخلفاء الرّاشدون على من يراسلونهم في ذلك الزمن من عبارات وجمل فصيحة بليغة وموجزة، يردّون بها على عمالهم من الولّاة وقادة الجند، والقضاة وغيرهم، لذلك استهوتنا هذه التوقيعات بما حفلت به من سياقاتٍ تاريخية، وثقافية، وسياسية، دفعتنا إلى جعلها موضوعا لبحثنا الموسوم ب <<البعد الفكري والفنّي في أدب التوقيعات في العصر العباسي: نماذج مختارة>>.

وقد تعددت عوامل وأسباب اختيارنا لهذا الموضوع ومنها رغبتنا في معرفة خبايا هذا الشكل من الخطاب.

ولأن التوقيعات ظلت منثورة، وموزعة على مصادر الأدب، ومتونه القديمة، ولم يتكفل بجمعها وتصنيفها كما حدث مع الشعر القديم، ولم تنل كفايتها من الدرس الأدبي والتحليل الفنّي، فقد آثرنا على أن نركز على دراستها لما تثيره من إشكالات تتعلق بكيفية

نشأتها وتطورها ضمن كتابات الترسُّل والدواوين، ودورها في تنظيم الحياة الإجتماعية، كما أنها تثير تساؤلات أخرى ترتبط بأبعادها الفكرية، وخصائصها الفنية.

وللإجابة عن هذه التساؤلات اقترحنا خُطة مشكلة من فصلين متكاملين، يتوّجهما خاتمة تُلخِّص نتائج البحث:

- الفصل الأول نظري، ويعالج مفهوم التوقيعات، ونشأتها، وأما الفصل الثاني فقد عالجنا فيه توسع الدواوين ازدهار التوقيعات في العصر العباسي، والفصل الثالث عالجنا فيه البعد الفكري للتوقيعات في العصر العباسي، وأما الفصل الرابع درسنا فيه أهم الأبعاد الفنّية للتوقيعات في العصر العباسي.

ولإيصال هذه الدراسة إلى مبتغاها، إعتمدنا على المنهج التاريخي، لفعاليته في تعقُّب السياقات، والمراحل والأحداث التي تتحكم في صيرورة التوقيعات وازدهارها، وقد طعَّمناهُ بالمنهج البلاغي لإضاءة السِّمات الفنيّة لهذا اللون الأدبي.

ولإثراء هذا البحث استعنّا بمجموعة من المصادر والمراجع، وبخاصة المراجع الحديثة التي تصدت لإحياء هذا الفن بالدرس، وتقريب القارىء العربي المهتم بالتراث من عوالمه،وقضاياه.

وقد واجهنا في بحثنا هذا بعض الصعوبات مثل أي بحث، ومنها: ضيق الوقت، قلة المصادر والمراجع، فحاولنا جاهدين تخطيها.

وفي الأخير نتوجه بالشكر الجزيل بعد الله عزّ وجل لأستاذنا الفاضل "حسان زرمان"، على بذل جهده ووقوفه معنا، ونتمنّى أن نكون قد استوفينا للموضوع.

الفصل الأول

مفهوم التوقيعات ونشأتها في العصر العباسي

- **أولا: تعريف التوقيعات**
  - **أ: لغة**
  - **ب: إصطلاحا**
- **ثانيا: نشأة التوقيعات**

أولا: ماهية التوقيعات

لغة: جمع توقيع ، ويدل الجذر اللغوي لمادة (وقع) في ما يدل على سقوط شيئ على التحقيق أو التقريب ،وعلى التأثير والإصابة، وقيل هو : <<مأخوذ من توقيع الدبر ظهر البعير فكأن الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه ما يؤكده ويجيبه>> [1].

ويورد الخليل بن أحمد الفراهيدي أن الوقع : وقعة الضرب بالشيئ ووقع المطر، ووقع حوافر الدابة، يعني ما يسمع من وقعه ويقال للطير إذا كان على أرض أو شجر: هن وقوع ووقع.

والواحد: واقع والنسر الواقع: سمى به كأنه كاسر جناحيه من خلفه وهو من نجوم العلامات التي يهتدي بها ، قريب من بنات نعش الجيال، النسر الطائر والميقعة: المكان الذي يقع عليه الطائر، ويقال: وقعت: وقعت الدواب والإبل؛ أي ربضت بوقوع الطير [2] ، ومن خلال هذه المعاني اللّغوية السابقة يتبين لنا أنها تتنوع في دلالتها اللّغوية وتدور حول معنى عام ، هو سقوط الشيئ وأثره في غيره، لهذا نجد جلها تتقارب مع التعاريف الإصطلاحية، وكذلك لا يوجد شك فيها على أنه ما يلحق الكاتب بعد الفراغ من كتابة النص الأصلي له وهذا ما يستوجب عليه في مطلع كتابه.

[1] منيرة فاعور،فن الطباق في أدب التوقيعات، مج 30، مجلة جامعة دمشق، العدد 1 و 2، 2014م ، ص 124

[2] أحمد الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مج 4، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص 392

والتوقيع لا يكتب إلا على الرسالة نفسها أو الرقعة أو الصفة المرفوعة إلى أولي الأمر هؤلاء، كما أنه لايلتزم فيها كما يلتزم في الرسائل من منهج أوختم أو طي أو ما أشبه ذلك من أمور مختلفة وهذه كلها سمات تجعل من هذه التوقيعات نوعا أدبيا خاصا ومستقلا، وإن كان في الأصل ثمرة من ثمار المراسلات، أو أدب الترسل، والتوقيع قد يكون اقتباسا من القرآن الكريم، فيكون آية قرآنية تناسب الموضوع الذي تضمنه الطلب أو حديثا نبويا شريفا، أو مثلا أو حكمة أو قولا بليغا وليد الساعة وكل ذلك من إنشاء الموقع[1].

وتتعدى المعاني في اللّغة للتوقيع منها أن يصبب المطر بعض الأرض ويخطىء بعضها، ويأتي بمعنى الإصابة وخفة التأثير ويقال دف هذه الناقة، موقع إذا أثرت فيه حبال الأحمال والدف الجنب تأثيرا خفيفا. وحكى أن أعرابية قالت لخالها: <<حديثك ترويع وزيارتك توقيع.>> ولعل هذا قريب في المعنى مما يريده صاحب أحكام صفة الكلام حيث يقول: وهذا النوع من الكلام، ما عدّلوا فيه عن التطويل والتكرار إلى الايجاز والإختصار، فيذالك ما جاء بالكلمات ومنه ما يأتي بالكلمة الواحدة ومنه ماجاء بحرف واحد[2].

[1] منيرة فاعور، م.س، ص 215

[2] أحمد عبد الرحمان الذنيبيات، القلقشندي أديبا، رسالة ماجيستار، جامعة مؤتة، السعودية، 1418م، ص 137

وأورد القلقشندي في كتابه "صبحِ الأعشى" عن إبن حاجب النعمان في ذخيرة الكتاب قوله: ومعنى التوقيع في كلام العرب: التأثير القليل الخفيف، يقال: جنب هذه الناقة موقع: وإذا أثرت فيه حيال الأحمال تأثيرا خفيفا، ويضيف القلقشندي قائلا: وحكى أن أعربية قالت لجارتها: <<حديثك ترويع وزيارتك توقيع>>، تريد أن تقول أن زيارتها خفيفة، ويقول القلقشندي في ذلك: يحتمل أن يكون قولهم: وقع الأمر إذا حق ولزم ومنه قوله تعالى:{ ووقع القول عليهم بما ظلموا} أي حق[1]، أو من قولهم: وقع الصيقل السيق إذا أقبل عليه بعفته يجلوه، لأنه بتوقيعه فالرقعة يجلو اللبس بالإرشاد إلى ما يعتمد في الواقعة أو من موقعة الطائر، وهي المكان الذي يألفه، من حيث أن الموقع على الرقعة يألف مكانا منها يوقع فيه كحاشية القصة ونحوها.

ومنها أيضا: أنه الرمى القريب لا تباعده، كأنك تريد أن توقعه على شيئ والموقع في حاشية القصة يحاول بكلامه الموجز أن يصل إلى كبد المراد[2].

ومنها التعريس: وهو النزول آخر الليل، والموقع إنما ينتحي بتوقيعه جانبا من آخر الورقة التي كتبت فيها القصة، وقيل هو من وقع الأمر إذا لزم ووجب، أو من وقعت الإبل بمعنى بركت، أو من توقيع المطر: أي إصابته بعض الأرض ومجاوزته بعضها والأسباب في التسمية ظاهرة فلا نطيل شرحها.

ونستخلص في الأخير بأن التوقيعات من الناحية اللّغوية تعددت وتنوعت تعاريفها واختلفت آراء اللغويين فيها.

---

[1] هاشم مناع، مأمون محمود ياسين، النثر في العصر العباسي وأشهر إعلامه، دار الفكر العربي،ط1، بيروت، 1999م ،ص211

[2] محمود مصطفي، الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، ج2،ط 2، 1937م، ص 94

وقد وردتك مشتقات(وقع) في القرآن الكريم في مواضع عديدة، منها قوله عز وجل: {قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ رِجْس وَغَضَبُ}[1].

وفي قوله تعالى: {إِذَا وَقَعَتِ اَلْوَاقِعَةُ}[2].

وفي قوله تعالى: { وَوَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَايَنْطِقُونَ}[3].

وفي قوله تعالى: { لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةُ}[4].

وفي قوله عز وجل: { فَوَقَعَ اَلْحَقُّ وَبَطَلَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ}[5].

وفي قوله تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ اَلْشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ اَلْعَدَاوَةَ وَاَلْبَغْضَاءَ فِي اَلْخَمْرِ وَاَلْمَيْسِرِ}[6].

وفي قوله تعالى: { وَإِذَا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّة مِّنَ اَلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ }[7].

فالفعل الذي ورد في هذه الآيات ألا وهو الفعل وقع فهو ثلاثي مخففا تكرر في أربعة آيات بصيغة الماضي، وجاء بصيغة المضارع يوقع، ومرة بصيغة اسم الفاعل واقعة، وكل هذاه الأفعال قريبة في معناها ودلالاتها، والمعنى أنها تدل على وقوع الشيئ فكأنه

[1] سورة الأعراف، الآية 70
[2] سورة الواقعة، الآية 1
[3] سورة النمل، الآية 85
[4] سورة الواقعة، الآية 2
[5] سورة الأعراف، الآية 118
[6] سورة المائدة، الآية 91
[7] سورة النمل، الآية 81

سمي توقيعا لأنه جاء تاثير في الكتاب من قولهم: أوقعت الأمر فوقع، وهذا لأنه سيء لوقع الأمر.

إصطلاحا: إختلفت الآراء حول التعريف الإصطلاحي للتوقيع، ويورد القلقشندي معنى التوقيع من الناحية الإصطلاحية على أنه: <<إسم يكتب في حواشي القصص لحظ الخليفة أو الوزير في الزمن المتقدم>>[1].

وقد عرف القدماء التوقيع بأنه: <<ما يلحق بالكتاب بعد الفراغ منه ممن رفع اليه كالسلطان ونحوه من ولات الأمر، مثل ما عدت أن ترفع الى السلطان أو إلى الوالي شكاة فكتب تحت الكتاب أو على ظهره>>[2].

ونجد أيضا شوقي ضيف يعرفها على أنها: <<عباراة موجزة بليغة تعوّد ملوك الفرس و وزراؤهم أن يوقعوا على ما تقدم إليهم من تظلمات الأفراد في الرعية وشكاويهم، وحاكاهم خلفاء بني العباس و وزراؤهم في هذا الصنيع>>[3].

ونستخلص من هذه التعاريف أن فن التوقيع نوع من أنواع الكتابة يتجلى في عبارات قصيرة موجزة، تخطها فئة خاصة من المسؤولين وولاة الأمر الأكفل بإصدار أحكام وتقديم ردود على الشكاوى المرفوعة إليها وتكون هذه الردود بأساليب بليغة، تحمل إيحاءات ومعاني كثيرة، وقد يكون التوقيع ردا على كتاب أو ربما على قصة أو لا يكون ابتداءا إلا ردا، وهذا الأمر مهمّا جدا لأنه هو الغالب على التوقيعات العربية والسائد فيها.

---

[1] أبي العباس أحمد القلقشندي، صبحي الأعشى في صناعة الإنشا، تح: محمد حسين شمس الدين ويوسف علي الطويل، ج1، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، 1987م، ص 110.

[2] عب الكريم حسين رعدان، فن التوقيعات في الأدب العربي، جامعة خضرموت،كلية التربية سقطرى، مجلة الدراسات الإجتماعية، العدد الرابع والثلاثون، يناير، يونيو، 2012م، ص 235.

[3] شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط 8، ص 489.

والتوقيعات هي الهوامش أو الملاحظات التي يكتبها الخلفاء والولات والوزراء والقواد والقضاة على الكتب الرسمية أو الشكاوى المرفوعة عليهم من أفراد الشعب، وتمتاز بجمال الأسلوب، والإيجاز الشديد، والبلاغة المتقنة. وقد وصلت إلينا مجموعة كبيرة من هذه التوقيعات في الكتب الأدبية والتاريخية، ولاسيما في العقد الفريد بإبن عبد ربه من ذلك توقيع الخليفة السفاح في كتابه جماعة من بطانته يكون احتباس أرزاقهم: <<من صبر في الشّدة شارك في النعمة>>، وتوقيع الخليفة المنصور على كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أن جندا شغبوا عليه وكسروا أقفال بيت المال فأخذو أرزاقهم: <<لو عدلت لم يشغبوا، ولو وفيت لم ينهبوا>>[1].

ونستخلص من خلال التعاريف السابقة بأن التوقيع عبارة تكتب من طرف خليفة أو وزير تكون بمثابة رد على أي أمر ما، حيث يحمل معاني ودلالات متعددة ومتنوعة. وكذلك يمكننا القول بأن التوقيعات تتميز بالإيجاز الشّديد المدقق والأسوب الرّاقي البسيط والحرص على تحصيل البلاغة دون الإخلال بمقتضى الحال في مراعات المقام والأبعاد التواصلية للخطاب.

[1] ناظم رشيد، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنّشر،1989، ص 158.

ثانيا: نشأة التوقيعات

إختلف الباحثون الدارسون حول نشأة أدب التوقيعات، فمنهم من رأى أن فن التوقيعات فنّ فارسي النشأة وأنه لا عهد للعرب به قبل أن يتصلوا بالحضارة الفارسية في العصر العباسي، ويرى هؤلاء أن أدب التوقيعات إنتقل الى العرب بعد أن تحضروا وانتشرت بينهم الكتابة، ودليله فيما ذهب إليه ما ذكره الروّات من توقيعات من كسرى أنوشروان، وأن هذا الفن يعتمد على الكتابة كوسيلة له وهي ليست متوفرة بين العرب يومها[1].

وهناك من يرى أن البوادر الأولى لنشأة هذا الفن كانت عند العجم أي أن العرب أخذوا هذا الفن عن الحضارة الفارسية وهو <<محاكاة الملوك الفرس و وزراؤهم>>[2].

ويذهب بعض النقاد والمؤرخين إلى أن فن التوقيع ظهر قديما في الأدب الفارسي، ونشأ في الأدب العربي منذ عصر صدر الإسلام، ويروى أن أول توقيع عرف كان لعمر ابن الخطاب حين كتب إليه ساعد بن أبي وقاص يستأذن في بناء فوقع له عمر <<إنما يكنّك من الهواجر أذى المطر>>، أو في رواية <<إبن ما يستر من الشمس ويكنّ من المطر>>. ولكن مهما تكن الآراء متضاربة حول نشأة أدب التوقيع فالضاهر أن الفن الأدبي قد عرف بدايته في صدر الإسلام وقد اهتم به جميع الأمويون ثم ازدهروا واشتهروا في العصر العباسي بعد أن تطور تطورا كبيرا في هذا العصر.

[1] سليمان مختار اسماعيل، أدب التوقيعات، مجلة شمال الجنوب، العدد الثامن،2016م، ص35.

[2] مجدي وهبة كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 127.

الفصل الثانـي

توسع الدواوين وازدهار التوقيعات في العصر العباسي

- أولا: تطور الكتابة تنظيم الدواوين
- ثانيا: إنتشار الإسلام واتصال العرب بالعجم
- ثالثا: إزدهار التوقيعات في العصر العباسي
- رابعا: أهمية التوقيعات في العصر العباسي

أولا: تطور الكتابة وتنظيم الدواوين في العصر العباسي

العرب في أكثريتهم أمة أمية عند ظهور الإسلام، لايعرف الكتابة والقراءة منهم إلا القليل ولا يتجاوز عندهم بصفة عشرة رجال، من بينهم علي بن أبي طالب وعثمان ابن عفان وعمر ابن الخطاب،وزيد ابن ثابت، والمعيزة ابن شعبة، ولما كان السواد الأعظم من النتاس في ذالك العصر لا يعرفون الكتابة، عُرفوا هؤلاء بالكتّاب أو الخطّاط.

والنّبي عليه الصلاة والسّلام أول من إتّخذ كتابا يكتبون له الوحي مثل عثمان و علي وابيّ ابن كعب وزيد ابن ثابت وكان بعضهم يكت الرّسائل إلى الملوك والأمراء والبعض الآخر يكتب له حوائجه، ولما تولى ابو بكر الخلافة إتّخذ عثمان كاتبا له يكتب إلى العمّال والقوّاد[1].

ولقد ازدهرت الكتابة في هذا العصر لكثرة الدّواعي إليها، وقوة الحوافز عليها، وفي ميادينها الفسيحة انطلقت الأقلام وتألق الكتّاب، حتى أخملو الخطباء، وزاحمو الشعراء، وشاركوهم فنونهم الوجدانية التي كانت من قبل خاصة بهم، مقصورة عليهم، ومن ثمّة عُرف هذا العصر "بعصر الكتابة"[2].

ومن كلام أبي جعفر الفضل بن أحمد في جملة رسالة : <<الكتابة اسُّ الملك وعماد المملكة، وأغصان متفرقة من شجرة واحدة والكتابة قطب الأدب، وملاك الحكمة ولسان ناطق بالفضل وميزان يدل على رجاحة العقل>>[3].

---

[1] حسين الحاج حسن، حضارة العرب في صدر الإنسان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1،1992م، ص 173.

[2] محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتّاب في العصر العباسي، ط2، 1987م، ص 109.

[3] أبي العباس أحمد القلقشندي، م.س، ص 37

ومنذ بداية القرن الهجري الثاني، تطورت الكتابة تطورا ظاهرا على يديّ سالم وعبد الحميد الكاتب كما ذكرنا نقطة. وقد ورثها العصر العباسي على هذا الحال من القوة والفتوّة.

غير أن تيّارها الزاخر قد تمهّل قليلا أوّل الأمر لانشغال الخلفاء عنها بتثبيت الملك وتدعيم السلطان واعتمادهم على الخطابة[1].

وقد كان أولياء العرب فالصدر الأول كُتّابا بالطبع يتلون أو يكتبون ما يريدون بأسلوب موجع ولفظ فصيح، فلما امتدت ظلال الخلافة وفاضت موارد الفئ إضطرهم ضبط ذالك إلى إنشاء الدواوين فدونها عمر في عهد الخلفاء بالكتابة فيها إلى العرب والموالي والمتعربين وظلت كتابة الخُرّاج في الأقاليم بلغة اهل مصر: ففي العراق بالفارسية، وفي الشام بالرومية، وفي مصر بالقبطية، حتى حذفها من العرب طائفة صالحة سدّوا حاجة الدواوين فحوّلت كلها الى العربية في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد[2].

[1] الدكتور محمد نبيه حجاب، م.س، ص 80

[2] محمد حسين الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة، ص 196.

لما انتقلت الخلافة إلى بني أميّة وتعددت مصالح الدولة تعدد الكتّاب وصارو خمسة:

1 – كاتب الرسائل، يخاطب الملوك والأمراء والعمال وغيرهم.

2 – كاتب الخرّاج، بدون حساب الخرّاج، داخله وخارجه.

3 – كاتب الجند، يقيّد اسماء الأجناد وطبقاتهم ونفقات الأسلحة وغير ذالك .

4 – كاتب الشرطة، يكتب التقاريرعما يقع من أحوال القواد والديّات وغيرها.

5 – كاتب القاضي، يكتب الشّروط والأحكام، وهو أهم هؤلاء الكتاب في المرتبة وأقدمهم؛ هو كاتب الرّسائل وقد يسمى كاتب السِّر، وهو يد الخليفة ومستودع سره. ولخطورة هذا المنصب كان الخلفاء لا يولونه إلا أقربائهم وخاصتهم، كما كان للخلقاء وأمراء الصحابة بالشام والعراق لعِظم امانتهم وخلوص اسرارهم، وضلّو على ذالك إلى أيام العباسيين.[1]

ونستنتج من كل هذا أن تطوّر الكتابة كان تطورا تدريجيا وخاصة في العصر العباسي وهذا يرجع إلى أن الخلفاء و الوزراء قد أعطوها اهتماما كبيرا لأن الكتّاب كانو ينتمون ممن يتقنون في الكتابة، لذالك فقد تطورت تطورا ظاهرا وتنوعت مظاهر استعمال التوقيعات عبر الدواوين المختلفة.

[1] أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، دار مكتبة وهبة، القاهرة، 2012م، ص 97.

مخطط يوضح تصنيف الكتابة

تصنف الكتابة لنوعين: علمية وأدبية كما هي موضحة في المخطط الآتي:

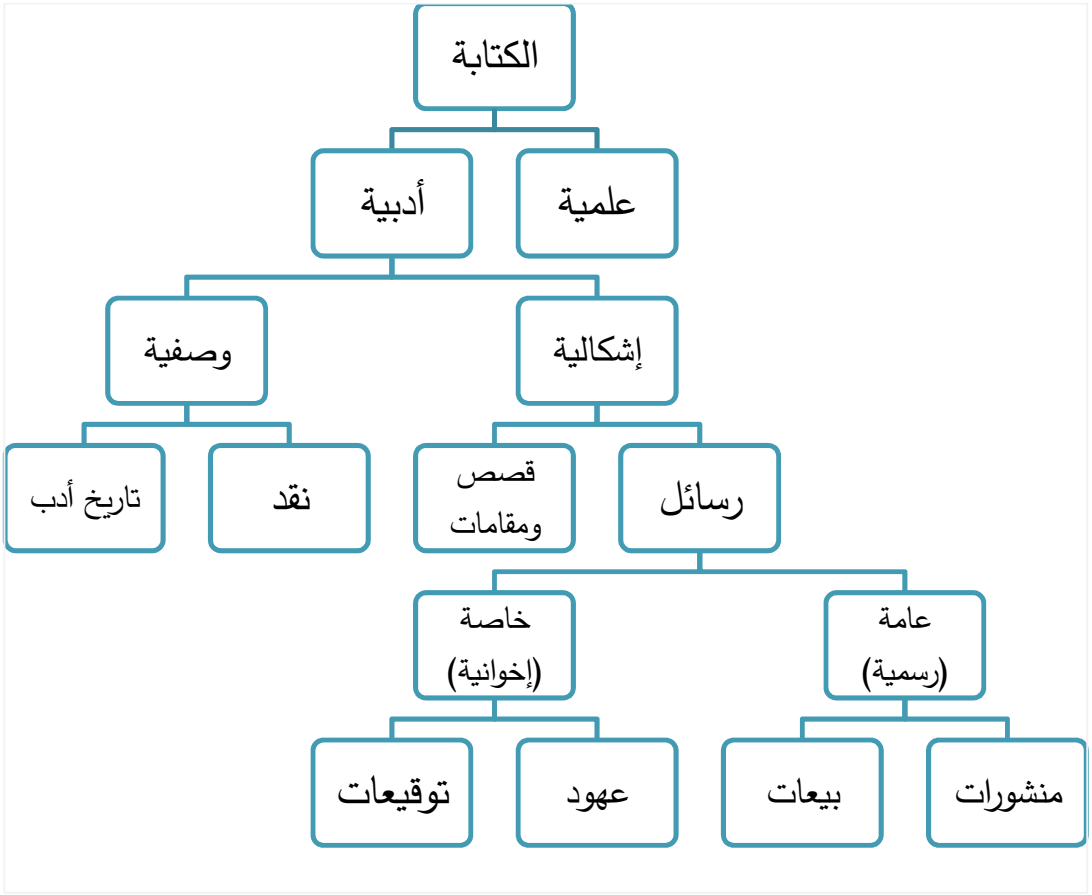

نلاحظ من خلال هذا المخطط أن الكتابة كانت لها عدة فروع أنواع تتسم بها، وهو يكشف لنا بوضوح أن الكتابة لها جذور علمية وأدبية وكل جذر يتفرع منه آليتان وكل آلية انقسمت إلى قسمين. وبذلك تبين لنا أن التوقيعات انحدرت من فرع الرسائل العامة، إلى جانب المنشورات والبيعات والعهود، لكنها امتازت منها بميلها إلى الإقتضاب والحرص على الأبعاد الجمالية، مما أكسبها بعدا أدبيا[1].

[1] الدكتور محمد نبيه حجاب، م،س، ص 89.

وبلغت الكتابة الفنية في هذا العصر العباسي من الرقيّ والسمو لم تبلغه في أي عصر من العصور، وذلك لظهور آثار الثقافات الأدبية والفكرية ولكثرة محفوظات الأدباء من آداب العرب والآداب المترجمة، وتمتاز الكتابة الفنية في هذا العصر بعدة ميزات ظاهرة في الأسلوب واللفظ والمعنى والخيال، ومن هذه الميزات:

– سعة الخيال وطرافته، عمق المعاني ودقتها وتنوعها وجدتها وسعتها، وظهور آثار الثقافات الأصيلة والمترجمة فيها، واستخدام العلم والفلسفة والمنطق في أدلتها والإقناع بها.

– التأنق في الألفاظ وحسن اختيارها والبعد بها عن الحوشية والغرابة.

– أما أُسلوبها فقد امتاز بالتجويد والتهذيب، واستعمال المحسنات البديعية والإكتار من ألوانها مع وضوح العبارة وحسن الإشارة وجودة الوصف وجمال السبك وقوة الآداء والتنوع في تخير الأساليب في الجزالة وحينا والعذوبة حين آخر[1].

ظلت الكتابة في أول العصر العباسي على أسلوب عبد الحميد، من الميل إلى الإيجاز والقصد في الغلو والتنميق، ولاسيما في الرسائل والتوقيعات، فإنّ النظر فيها أكثر ما يكون للخلفاء والوزراء عنهم تصدر،وإليهم ترد، وكان جعفر بن يحي يقولي في إيثار الإيجاز <<إن استطعتم أن تجعلو كتبكم كلها توقيعات فافعلوا>>[2].

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م، ص 311– 312.

[2] أحمد حسن الزيات، م.س، ص 212.

نستنتج في الأخير أن الكتابة تطورت بشكل تدريجي، وازدهرت كثيرا وهذا راجع إلى اهتمام الخلفاء و الوزراء بها و تنوع أساليب الكتّاب فيها وتعدد الدواوين.

وليس من الصنائع صناعة تجمع هذه الفضائل إلا صناعة الكتابة، وذلك لأن الملك يحتاج فانتظام سلطان إلى ثلاثة أشياء لا ينتظم ملكه مع وقوع خلل فيها، أحدها رسم ما يجب أن يرسم لكل من العمال والمكاتبين عن السلطان ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسة من أمر ونهي، وترغيب ووعد ووعيد وإخماد وإذمام، والثاني استخراج الأموال من وجوهها[1]، واستيفاء الحقوق السلطانية فيها.

من هنا نشير إلى أن الكتابة عبارة عن رسم يرسُم به السطان أو الوزير ما يراوده في ذهنه ويكتبه لكي يلقي نظرة هامة مبرزا فيها من تقديم إعطاء بعض الأمور التي تخص وتستوجب كل خليفة بينما في فصول سابقة بدا أن إختلاط العرب في هذا العصر بالأمم التي عاشروها[2]، وخاصة الفرس في جميع شؤونهم تغييرا ظاهرا، ومن هذا ما جرى على الكتابة. فأما تفصيل ذالك فإن اللغة الفارسية تشتمل على خواص ومزايا وهي:

– التهويل في الخطالب وتعدد الألقاب.

– الإفراط فاستعمال نوعي الإيجاز والإطناب وهما من صفات الكتّاب عند الفرس يجعلون لكلٍّ من النوعين مقامات يوجبون فيها استعماله.

نستخلص من كل هذا بأن جل الكتّاب كانو يسعون إلى الوصول وكان همهم تلبية حاجات الحكام، ونيل الحظوة والرضا عندهم من خلال رفع مكانة الكتابة وتطويرها.

[1] أبي العباس أحمد القلقشندي، م.س، ص 39.

[2] محمود مصطفى، م.س، ص 83.

بلغت الدولة العباسية شأنا عظيما من الحضارة، وتعددت مصالحها، فاستحدث خلفاؤها الكثير من الدواوين التي لم تكن موجودة من قبل، ولكن استدعتها حاجة الدولة وتطورها.

كما توسعوا فيما كان موجودا، وكان من أهم هذه الواوين التي استحدثوها، أو توسعوا فيها:

1- ديوان الزّمام.

2- ديوان الأحداث والشرطة.

3- ديوان البريد[1].

والديوان هو موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال. ومن يقوم بها من الجيوش والعمال.

وهو فارسي معرّب وفي تسميته ديوانا وجهان.

وعلى هذا فيتناول إسم الديوان كتاب الرسائل، ومكان جلوسهم بباب السلطان. وقد تفردت هذه الوضيفة بناظر واحد ينظر في سائر هذه الأعمال، وقد يفرد كل صنف منها بناظر على حسب مصطلح الدولة.

[1] أبو زيد شلبي، م.س، ص 100-99.

لم يكن على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وعهد أبي بكر رضي الله عنه ديوان لإحصاء الأموال، وضبط العطاء فلما كان زمن عمر رضي الله عنه كثر المال، واتسعت البلاد، وكثر الناس فدُونت الدواوين لوجود الدواعي، فكان رضوان الله عليه أول من وضع الدواوين في الدولة الإسلامية[1].

أ- ديوان الخرَّاج

كان الوزير (وهو في الواقع بمنزلة الصدر الأعظم) ، يرأس اللمجلس الأعلى وأعضاء هذا المجلس هم رؤساء داوئر الحكومة، وكان يطلق أحيانا على رؤساء الدوائر لقب وزير إلى أن مراتبهم كانت دون مرتبة الوزير الأول وقد ازدادت في عهد العباسيين أنظمة الحكومة تعقيدا من أن إداراة الدولة تنظمت نوعا ما لاسيما تلك التي لها علاقة بالخراج والقضاء، ولما كنت أمور المال أهم مهام الحكومة فقد ظل ديوان الخرَّاج[2]، كما كانت أيام الأمويين ذات شأن خطير وبقي لرئيسه صاحب الخرَّاج مكان رفيع.

ونستنتج من ذكر ما سبق أن ديوان الخرَّاج كانت له منزلة عظيمة عند العباسيين، وهو أول ديوان نظم من بين الدواوين في العصر العباسي، وهذا راجع إلى اهتمام الخلفاء به وكان له شأن كبير لدى مجاس الرؤساء.

[1] م. ن، ص 105.

[2] فيليب حتى، تاريخ العرب، دار الكشاف للطباعة والنشر، ج2، 1951م، ص 396.

ب- ديوان الجيش

قال قدامة: أول ما ينبغي أن نبتدىء به من أمر هذا الديوان في ذكر مجالسه، وتبين أسمائها ومعانيها، ثم تتلوا ذالك بالأعمال التي يدعوا فيه إليها فنقول: أن قسمة هذا الديوان يكون على مجالس منها الديوانان اللَّذان ذكرناهما فيهما ومنها ما يختص باسم ... بهما دونها فأما ما يشارك فيه ما تقدم من المجالس والإنشاء والتحليل، وقد شرحنا عن أحوال هذه المجالس بديوان الخرّاج بما فيه كفاية.

وأما ما يختص به مما لا يشاكل شيئا مما تقدم ذكره إلا بالمقاربة لما وصفناه من حال بعض أعمال الجيش. في ديوان الخرَّاج، فهما مجلسان يسمى أحدهما مجلس التقرير والآخر مجلس المقابلة، والذي يجري في أمر التقرير فهو أمر استحقاقات الرجال والإستقبالات وأوقات معطياتهم، وسياقة أيامهم وشهورهم على رسومها وعمل التقدير لما يحتاج إلى إطلاقة لهم من الأرزاق في وقت وجوبها وتجريد النفقات التي تنفذ لوجوهها والنظر في موافقات المنفقين وإخراج جِناياتهم وما شاكل هذاه الأشياء وجانسها، ومجلس التقرير بديوان الجيش[يكون] [إليه الرجوع في أكثر أعماله ومجراه في ديوان الجيش] مجلس الحساب من ديوان الخرَّاج[1].

ولكن في العصر العباسي تبين للفنّين خطر تكوين الجيش من عنصر واحد، إذ ينعدم التنافس بين أفراده، هذا فضلا عن تغير الأحوال بإسلام شعوب كثيرة، وإن العباسيين اعتمدوا في إقامة حكمهم على غير العرب من الفرس والترك وغيرهم، ولذالك أسقط المعتصم بالله العباس العنصر العربي من ديوان الجيش وبدأ في إدخال عناصر من أجناس غير عربية،

[1] ينظر، قدامى بن جعفر، الخرّاج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، 1981، ص -21 -22.

أما العرب فأصبحو في القرن الرابع الهجري يكونون عناصر غير نضامية في الجيوش الإسلامية ويدخلونهم كمتوطعة تُستخدم في إنهاك قوى العدو قبل الدخول إلى المعركة. يضاف إلى ذالك أن الخلفاء والحكام في الدول الإسلامية كانو يعتمدون على جيوش خصوصية تكون مهمتها تأييد حكمهم وتنفيذ رغباتهم والحد من طمع منافسيهم[1].

كان العرب في جاهليتهم يحاربون بطريقة الكر والفر من غير أن يتّبعوا في ذالك نظاما، فلما جاء الإسلام ابتدأ التنظيم في جيوش المسلمين وحين نزل قوله تعالى: {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص}. رتب النبي صلى الله عليه وسلم جيوش المسلمين صفوفا ثم عدل في تنظيمهم وترتيبهم، ولقد اتسعت الفتوح والتقت[2] جيوش المسلمين بجيوش الفرس والروم وهي جيوش تُسير في حروبها وفق نظم وخطط، وكان تنظيم الجيش وتعبئته هكذا:

أ- المقدمة: وهي التي تبدأ بالمناوشات مع العدو.

ب- القلب: وهو وسط الجيش. الجناحان، الساقة.

وهكذا مر ديوان الجيش بترتيب وتعديل جيوشه.

[1] عبد المنعم ماجد، تاريخ الحظارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأسجلو المخيرية، القاهرة، ط7، 1997م، ص 63.

[2] أبو زيد شلبي، م.س، ص 142.

ج – ديوان البريد:

قال صاحب الفخرة: <<البريد أن يجعل خيل مضمرات في عدة اماكن فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها، وقد تعب فرَسُه، ركب غيره فَرَسا مستريحا، وكذالك يفعل في المكان الآخر والآخر حتى يصل>>.

إهتم العباسيون بالبريد واعتنوا به عناية كبرى، واعتمدو عليه كثيرا في إدارة شؤون دولتهم، وكان ابو جعفر المنصور يقول: <<ماكان أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعفّ منهم، فقيل له: يا أمير المؤمنين، من هم؟ قال: أما أحدهم فقاضٍ لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث صاحب خرّاج يستقصي ولا يظلم الرعية، وإني عن ظُلمها غني، والرابع ثم، عضّ على أصبعه السبابة ثلاثُ مرات، يقول في كل مرة آه، آه، فقيل له: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريد يكتب إليّ خبر هؤلاء على الصحة>>[1].

وبالرغم من السلطة التي أعطاها الخلفاء لعمال البريد إلا أنهم لم يعطوهم الفرصة لاستغلال نفوذهم فقي الإثراء على حساب الغير، بل كانوا يحاسبونهم حسابا عسيرا، ويلتمسون الدقة في أخبارهم، حتى كان الخلفاء أحيانا يشكون في صحة اخبار عامل البريد ولا يعملون بقوله، وتشير الرواية العربية إلى أن صاحب البريد همذان كتب إلى المأمنون بخرسان يعلمه أن كاتب البريد المعزول أخبره <<أن صاحبه وصاحب الخرَّاج كان قد تواطأ على إخراجة مائتيّ ألف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما، فأجاب

[1] ينظر، أبو زيد شلبي، م.س، ص 125-127.

المأمون، إنا نرى قبول السِّعاية شرا من السِّعاية، فإن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيءٍ كمن قبله وأجازه>>[1].

[1] هويام عيسى، البريد في العصور الإسلامية (نشأته، تطوره، أغراضه)، 1993م، ص 68.

إن الثورة التي استخلصت السلطة من الأمويين، ونقلتها إلى منافسيهم العباسيين قد أحدثت انقلابا خطيرا في العالم الإسلامي على وجه العموم وفي الأدارة العمومية، ونظمها على وجه الخصوص، ذالك أنها قضت على انفراد العنصر العربي بالحكم واستأثاره بمناصب الدولة الكبرى وحل محله العنصر العجمي، فالمعروف أن العرب يمثلون نظما سياسية واجتماعية معينة، وقد أدت سيطرت العجمي إلى ذهاب هذه النظم أدراج الرياح بذهاب سلطتهم، بل إن النظم الفارسية القديمة ذابت في المملكة الأسلامية وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الذوبان تحسين وإخراج النظم الإدارية على أُسس منظمة، وقد أدى ذالك إلى كثره التشكيلات الحكومية في الدولة العباسية كوضيفة الوزير وأستاذ الدار، والسطان ومجلس العزيز، وتعدد الدواوين، ومن بينهما ديوان البريد وكلها نظم كسروية قديمة صاغها العقل في ثوب إسلامي جديد[1].

وأخيرا نستنتج بأن ديوان البريد كانت له أهمية كبيرة في هذا العصر، وكان لعمال البريد دور كبير في تلقي الأخبار وحبكها لمعرفة أخبار الآخر وأسراره، إذ نرى أن ديوان البريد تعددت وتنوعت وسائله في هذا العصر، ومما يبرز ذالك من الخلفاء: <<وأمره أن يكون ما ينهيه من الأخبار شيئا يثق بصحته، ولا يدخل شبهة في شيء منه، ويوعز إلى خلفائه وأصحابه أن لا ينهوا إليه إلا ما يثبتونه>>[2].

[1] هويام عيسى، م.ن، ص50 .

[2] قدامة بن جعفر، م. س، ص 51.

د – ديوان الجند:

أعلن أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الملقب بالسفاح في الثالث من شهر ربيع الأول لعام اثنين وثلاثين ومائة، بأن العباسيين أهل الحق بالخلافة وذالك في خطبة ألقاها في جامع الكوفة حيث وعد الجند ومناهم وزادهم في أُعطياتهم، حيث قال: <<....، وقد زدتكم في أُعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فإن السفاح المبيح والثائر المبير>>، ولعل تلك الزيادة التي قررها الخليفة العباسي الأول كانت جريا على عادة أغلب الخلفاء الذين سبقوه حين توليهم الخلافة، وذلك حرصا منه على كسب رضا الجند وسائر الناس وخاصة في تلك المرحلة الانتقالية[1].

ومما يلاحظ هنا أن معدلات هذه الرواتب هي أق منها عند السفاح ولعل السبب في هذا يرتبط بسياسة جديدة سار عليها المنصور، قصد منخها منع الجند زمن أن يستعثوا برواتبهم عند الجندية من جهة وليضمن عدم عصيانهم من جهة أخرى، وربما ايضا لاحتياج المنصور إلى المال الكثير لقيامه بإنشاء مدينة بغداد، وغيرها من المنشآت العامة في أرجاء دولته، حيث انه اهتم بالمناطق الساحلية المتلاحمة لحدود البيزنطيين من جهة الشام، فبنى الشعور وحاول إغراء الجند على السكن فيها[2].

ومن خلال هذا نلاحظ أن هذا الديوان وهو ديوان الجند كانت له عدة تنظيمات ورواتب جعلته يبرز أهم ما يقدمه عن باقي الدواوين في العصر العباسي التي تم ذرها من قبل، وهو يريد أن يضمن الإستقرار وعدم التعصب، وهذا ما أشار إليه ديوان الجند.

---

[1] عبد العزيز عبد الله السلومي، ديوان الجند، نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون، دار مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة – العزيزية، 1986م، ص 171.

[2] م. ن، ص 172.

هـ – ديوان المظالم:

وبعد عمر بن عبد العزيز أهملت ولاية المظالم آل الحكم، فأحيوا آل العباس هذه السنة وساروا على النهج الذي سار عليه من قبل عبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز من خلفاء الدولة الأموية، فكان أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين، يهتم باختيار عماله ويقول: <<ماكان أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعفّ منهم، فقيل له: يا أمير المؤمنين، من هم؟ قال: أما احدهم فقاضٍ لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث صاحب خرّاج يستقصي ولا يظلم الرعية، وإني عن ظُلمها غني، والرابع ثم، عضّ على أَصبعه السبابة ثلاثُ مرات، يقول في كل مرة آه، آه، فقيل له: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريد يكتب إليّ خبر هؤلاء على الصحة>>[1].

قال قدامة: <<هذا الديون سبيله أن يتقلده رجل له دين وأمانة، وفي خليفته عدل ورأفة ليكون ذلك منه نافعا للمتظلمين، وإن يعمل بجميع القصص جامعا يعرض على الخليفة في كل جمعة، فإذا قعد الناس وكان ممن له صبر على تأمل القصة والتوقيع عليها، فعلى ذلك>>[2].

وخلاصة القول أن ديوان المظالم كانت له مكانة عالية، وأنه يعتبر من أرقى وأفخر ديوان قضائي فالإسلام، فقد جاء هذا الديوان للحفاظ على الحقوق الخاصة والعامة للفرد والجماعة، وهو أساسي ومتميز عن باقي الدواوين التي تم ذكرها سابقا.

[1] حمدي عبد المنعم، ديوان المظالم (نشأته وتطوره واختصاصاته)، دار الشروق، ط1، 1983م، ص 80.

[2] قدامة بن جعفر، م.س، ص 63.

وإذا نظر في المظالم هناك من انتدب لها وجعل لنظر يوما معروفا يقصده فيه المتظالمون، ويراجعه فيه المتنازعون، ليكون ما سواه من الأيام هو موكول إليه من السياسة والتدبير، إلا أن يكون من عمال المظالم المنفردين لها، فيكون مندوبا للنظر في جميع الأيام، ويستكمل مجلس نظره بحظور خمس جماعات لا يستغني عنهم ولا ينتظم نظره إلا بهم وهم[1]:

- الحماة والأعوان، لجذب القوى وتقويم الجرىء.
- القضاة والحكام، لإستعلام ما يثبت عندهم من الحقوق.
- الفقهاء ليرجع إليهم فيما أشكل، ويسألهم فيما اشتبه واعضل.
- الكتاب ليثبتوا ما جرى بين الخصوم، وما توجه لهم أو عليهم من الحقوق.
- الشهود ليشهدهم على ما أوجبه من حق، وأمضاه من حكم.

أما نظام المظالم فقد وجد أيضا لحماية مبدأ الشرعية ولكن من ترويد ناظر المظالم بما يلزمه لذالك من الوسائل والأدوات، فصاحب المظالم يقرر المخالفة ويردها بنفسه حتى ولو لم يلجأ إليه ذو مصلحة لأن كل مخالفة للقاعدة العامة تضر بالجماعة ذاتها، بحيث يكون لصاحب المظالم الذي يمثلها أن يرفعها حتى يعيد النظام القانوني هدوءه واستقراره، أما الدكتور عبد الحكيم حسن العيلي فيرى من تحليل إختصاصات ولاية المظالم أنها

[1] أبو زيد شلبي، م.س، ص 115.

تمثل ديوانا للشرعية يجمع بين القضاء المادي والقضاء التأديبي، وجهات التنفيذ والسلطة الرئاسية الإدارية والرقابة على أعمال الإدراة[1].

[1] حمدي عبد المنعم، م.س، ص 260-259.

و – ديوان الرسائل

بدأت عناية العباسيين بهذا الديوان منذ بداية حركتهم في خرسان، فقد أنشأ أبو مسلم ديوانا للرسائل عهد به إلى أن أسلم إبن صبيح، لكن قواعد تنظيم هذا الديوان استقرت في عهد المنصور عهد التنظيم الشامل والتطور الحقيقي لنظام الخلافة العباسية، ففي بغداد أفرد مكانا خاصا لهذا الديوان بل جعله قريبا من قصره، وعهد به إلى أبان بن صدفة، ولم يتوقف تحاور هذا الديوان في عهد المهدي وأصبح باستطاعة من يتولاه أن يستخلف عليه من يريد، كما فصلت المراسلات الخاصة بالخليفة عن مراسلات الدولة لأن ديوان رسائل الدولة بدأ يخضع لإشراف الوزراء المباشر وخاصة وزراء التفويض، ثم مضى التطور قديما في عهد الرشيد إذ أدخل تعديلا على المكاتبات الرسمية فأصبحت تصدر بالثناء على الله عز وجل[1].

قال القلقشندي: <<لقد كان ديوان الإنشاء في الزمن المتقدم يعبَّرُ عنه بديوان الرسائل؛ تسمية له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء وأهمها، وربما قيل ديوان المكاتبات ثم غلب عليه هذا الإسم واشتهر به واستمر عليه إلى الآن>>، وقال أيضا: <<أن هذا الديوان أول ديوان وضع في الإسلام، وذالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم ويكاتبونه>>[2].

أول ما يجب أن يكون رئيس ديوان الرسائل ومتولى الكتابة عن حضرة الملك ذا دين وورع وأمانة فانه بمنزلة كبيرة ورتبة خطيرة يتحكم بيها في أرواح الناس وأموالهم لأنه لو زاد أدنى كلمة أو حذف أيسر حرف أو كتم شيء قد علمه أو تأول لفظا بغير معناه أو

[1] حسن أحمد محمود، العلم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط5، ص 150.

[2] أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان، ديوان قانون الرسائل، دار الآثار العربية، القاهرة، ط1، 1905، ص 92.

حرّفه عن جهته، أدى ذلك إلى ضرر من لا يستوجب الضرر ونفع من لا يستوجب النفع بل ربما ضرّ من يجب نفعه، ونفع من يجب الإضرار به، وموَّه على الملك حتى يشكر المذموم، ويذم المشكور، فمتى لم يكن ليه دين يحجزه عن ارتكاب المآثم[1].

وورع يزعه عن احتقاب المحارم وأمانة لا تمتد يده معها إلى رشوة تحسن له الدخول في المسالك المذمومة ونزاهة نفس تصدفه عن الشهوات الموروده له إلى الموارد المكروهة، وقعت الدولة منه في ورطة شنعاء وداهية دهياء.

وفي الأخير نستنتج مما تم التطرق إليه بأن هذا الديوان ألا وهو ديوان الرسائل كانت له أهمية بارزة في العصر العباسي، مما لا شك فيه بأنه ديوان فائق الرتبة والمنزلة لذلك كانت له مكانة مرموقة يستوجب على الخليفة الحفاظ بها، ولذلك نجد بأن لصاحب ديوان الرسائل كاتب يرتب الكتب التي ينظرها مجلس المظالم ويلخصها فإذا روجعت عُرِضت على الخليفة[2].

[1] م.ن، ص 94.

[2] حسن أحمد محمود، م.س، ص 151.

ثانيا: إنتشار الإسلام وإتصال العرب بالعجم في العصر العباسي

كان ظهور الإسلام في الواقع ثورة دينية وسياسية وإجتماعية وإقتصادية، أو بمعنى أصح إنتقالا حاسما في تاريخ العرب، إذ جعل لهم دينا واحدا يدعوا إلى الوحدانية، وحقق لهم وحدتهم السياسية، وجعل العرب أمة موحدة قوية، حققت من الفتوحات مثلما حققته الإمبراطوريات القديمة، ومن الطبيعي أن لكل ثورة دينية أو سياسية أو إجتماعية مراحل تمهيدية ومقدمات، والتقديم للنقلة واضح عند العرب قبيل الإسلام، ويتجلى هذا التقديم أو التمهيد في ضعف المثل الجاهلية القديمة سواءا كانت سياسية أم دينية أم إجتماعية، والميل إلى تركها في سبيل مثل أخرى جديدة، والتنبؤ بقرب ظهور بني مصلح يدعو إلى هذه المثل[1].

كذلك كان انتصار عرب الحيرة على الفرس في موقعة ذي قارسنة 259م انتصارا للعرب جميعا، وهو أول انتصار للعرب على العجم الذين كانو يفرضون عليهم سلطانهم، وفي هذا الإنتصار قال النبي عليه الصلاة والسلام: <<هذا أول يوم انتصفت العرب فيه من العجم وبي نُصِروا>>، لقد عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه العبارة الموجزة عن آمال العرب جميعا، ورغبتهم في التحرر المطلق من سيطرة الفرس[2].

يبدو اهتمام العباسيين بالإسلام قويا إذ أول ما لفت أنظارهم هو قيمة الدين في توطيد أركان الدولة وكانو يرون درسا كبيرا في استخفاف بني أمية بالدين لما أفضى الأمر إلى أبنائهم المترفين فكانت مهمتهم قصد الشهوات وروكوب اللذّات من معاصي الله عز وجل جهلا منهم باستدراجه وأمنا منهم لمكره مع إطراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الله

[1] عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب (تاريخ الدولة العربية)، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، ص 41.

[2] م.ن، ص 42

تعالى وحق الرياسة وضعفهم عن السياسة، فسلبهم الله العز وألبسهم الذل ونفى عنهم النعمة، فكان في ذالك أكبر عبرة جعلت أبو جعفر المنصور الخليفة الثاني يقيم للدين وزننا ويعظم حرماته من ذالك.[1] ثم إن احتكاك المسلمين بالنصارى واليهود وغيرهم من علماء سائر الأمم جعلهم يتأثرون بآرائهم حتى كانت أول بدعة تحدث في الإسلام هي بدعة القدرية التي قال بها معبد الجهني وقد أخذها عن النصراني يقال له سوس، فيكون بذالك اتصال المسلمين بالفلسفة قديما، غير أن الفضل في تنشيط حركة النقل والترجمة يرجع إلى الخلفاء العباسيين.[2]

[1] موهوب مصطفاي، المثالية في الشعر العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 233.

[2] م.ن، ص 242.

قسم الإسلام الناس إلى قسمين: عرب وغير عرب، أما العرب فلم يكن لهم مفر من اعتناق الإسلام بالرضى أو القوة، وفي ذالك نزلت السورة التاسعة في المصحف "سورة براءة" أو "التوبة" تبدأ هذه السورة بالآيات الخمس التالية (ويحن أن نلاحظ ما فيها من السياسة الداخلية ومن أصول السياسة الخارجية، ومن الحقوق الدولية في عقد المعاهدات، وهذه السورة لم تبدأ بالآية الكريمة "باسم الله الرحمان الرحيم؛ لأنها نزلت في الحرب والقتال، ثم إن البسملة "أمان" وهذه السورة نزلت في السيف، وأما غير العرب من الفرس والهنود ومن الأرميين واليهود ومن الروم والإفرنج، فإن الإسلام يعرض عليهم فإن قبلوه فلهم الحسنى،وإن لم يقبلوه فلا سبيل لأحد عليهم، جاء في سورة البقرة السورة الثانية من المصحف {لا إكراه فالدين، قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى} وقريب من ذالك وأكثر وضوحا في الرد على الذين يرون في العوة الإسلامية مجالا للإكراه.[1]

إن الإسلام لم يجعل المسلمين عبيدا، بل جعلهم عبادا يتمعنون في أمر الدين، مرة إلى العبادة ومرة إلى المصلحة الإجتماعية، إن الله في الإسلام لم يطلب من جميع الناس في جميع الأحوال أن يقيدوا أنفسهم بلفض الفرض الديني إذا في القيام بهذا الفرض على الوجه المطلوب حرج (تضييق) على الفرد أو على الجماعة.

إن احتكاك العلماء بعضهم ببعض في مناظرات حادة شديدة تجعلهم يدققون معلوماتهم ويعمقونها حتى كان منهم الفطاحل الأقداذ الذين رفعو من شأن الإسلام الذين رفعو شأن الإسلام عاليا من الناحية الفكرية حتى أن المعتزلة لم يكتفو بالرد على خصوم الإسلام بل نصبو أنفسهم دعاه إلى الدخول فيه وفي ذالك دليل على تفوقهم على خصومهم:

[1] عمر فرّوخ، الإسلام والتاريخ، دار الكتاب العربي، مكتبة المهتدين، بيروت، 1983م، ص 15.

– أن من طرق الغنى مجالسة الخليفة حتى صار العلماء والأدباء يتسابقون إليها ويتنافسون عليها مع الحرص على تجويد البضاعة العلمية أو الأدبية حتى يصبح صاحبها يوما ما جليس خليفة.

– إن انتصار الخلفاء العباسيين للإعتزال ولا سيما المأمون والمعتصم والواثق وحمل الناس على إعتناق مذهبهم مكن للثقافات الأجنبية، ولا سيما الفلسلة أن تنتشر وترفع شأنها رغم كراهية الفقهاء والمحدثين لها وكل هذه الأسباب التي تم ذكرها قدمها الواثق للمسعودي حيث يقول: <<وكان الواثق بالله محبا للنظر مكرما لأهله مبغضا للتقليد وأهله محبا للإشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة وغيرهم>>[1].

نستخلص من امتزاج العرب أو غير العرب بعضهم ببعض، هذا لا ينفي أن هناك وجود إتصال واحتكاك بينهم، بل زعم العرب بأن تكون علاقتهم متينة وقوية بالإسلام، وأنه ليس إسلام مصلحة أو جعل المسلمين عبيدا وهذا على حسب رأيهم وما وضحوه في الصورة التي تم ذكرها من قبل لأن الإسلام هو دين حب الله عز وجل وطاعته والسير على الطريق المستقيم، وهذا ما جعل المسلمين يهتمون بالإسلام ويفصلون فيه أكثر من أجل الإكتشاف.

[1] موهوب مصطفاي، م.س، ص 255–254.

ثالثا: إزدهار التوقيعات في العصر العباسي

لم تسعفنا المصادر التي توافرت لدينا بذكر عوامل إزدهار هذا الفن وخائصه، والأسباب التي أدت إلى خموده بعد إزدهاره، وإضمحلاله بعد انتشاره، وإنما أخذت تسوق الأمثلة الواحدة تلوى الأخرى دون تعليق أو دراسة، فكالان لابد من تدوين هذه العوامل حسب اجتهادنا والتي يمكن أن نطرحها على النحو الآتي:

1- إنتشار الفتوحات الإسلامية، واتساع رقعة الدولة الإسلامية بعد الإنتصار على الفرس والروم، واعتناق الكثير من الجنسيات وقوميات الدين الإسلامي.

2- حاجة الولات إلى الردود السريعة على مكاتباتهم أو رسائلهم، لأهميتها وكثرتها، خشية تراكمها وتأخرها، مما يحول دون حل مشاكل الولات والناس والنظر في مصالحهم.

3- كثرة الأعباء الملقاة على كامل الحكام، لتنوع إداراة الدولة وشؤونها

- تقصير بعض الولات في فهم أوضاع الناس، وتفهم مشاكلهم

4- إهتمام الناس بالتوقيعات، وولعهم بها، وحرصهم على إتقانها يقال: كان البُلغاء يتنافسون في تحصيل توقيعات جعفر بن يحي الذي كان يلي ديوان التوقيع للرّشيد ليقفو منها على أساليب البلاغة وفنونها، حتى قيل: أنها كانت تباعُ كل توقيع بدينار.

5- إنتشار الكتابة والتعلم والتعليم، بعد أن كانت الكتابة مقصورة على عدجد محدود من المسلمين الذين كانو أميين لا يعرفون القراءة.[1]

ونستنتج من خلال ما تم ذكره أن التوقيعات نمت وترعرعت مثل غيرها من الفنون الأدبية الأخرى التي تطورت وازدهرت، منها فن الخطابة والرسائل وغيرها.

[1] هاشم صالح مناع، مأمون محمود ياسين، م،س، ص 221-220.

وقد كان هذا الفن محظوظا من طرف الوزراء والخلفاء واهتمامهم به، حيث أنهم في البداية كانو هم المسؤولون عليه، ثم جعل هذا الأدب لكل خليفة كاتبا يختصُّ به، وكان العباسيين يهتمون به وجعلوه ذو مكانة عالية عن باقي الفنون الأدبية النثرية الأخرى.

رابعا: أهمية التوقيعات

للتوقيع أهمية بالغة في الواقع السياسي والأدبي والعربي، فهي تمثل صورة من صور النضج البلاغي في العصور الإسلامية، ويمكننا أن نجعلها مقياسا لبلاغة الحكام والأمراء والولاة، ودليلا على قدراتهم في التعبير البليغ الراقي المتصف بالإيجاز والبيان وإيصال الكلام إلى منتهاه ومبتغاه الذي يريد الوصول إليه وتحقيق هدفه[1]، فلذلك لا يخلو ما تضمنه التوقيع من أحد الأمرين: إما أن يكون اذنا بالحكم أو إذنا بالكشف والوساطة، فإن كان إذنا بالحكم جاز له الحكم بينهما بأصل الولاية ويكون التوقيع تأكيد لايؤثر فيه قصور معانيه[2].

لقد ساهمت التوقيعات في فصل الكثير من النزاعات وحل القضايا الإجتماعية والسياسية والإقتصادية، فبضلها ازداد التماسك بين أفراد المجتمع، حيث أن للتوقيعات أهمية كبيرة وبالغة بفضل كلماتها الفصيحة وأسلوبها الراقي، ولم تتوقف أهميتها عند هذا الحد، بل كانت تعتقد بها الولاية وتبنى عليها شرعية تعيين القضاة[3].

---

[1] عبد الكريم حسين رعدان، م.س، ص236.

[2] الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، 2006م، ص 151.

[3] عبد الكريم حسين رعدان، م.س، ص 237.

ولهذا اهتمت الدولة الإسلامية إهتماما كبيرا بالتوقيعات، حتى بلغت العناية بها في الدولة العباسية إلى أن أصبحت فنا مميزا، لا يجيدها إلا قلة من أصحاب الموهبة البلاغية، وفي هذا تكمن وتبرز أهمية هذا الفن.

وفي الأخير نستخلص من كل هذا أن أدب التوقيعات كانت له أهمية كبرى من طرف الخلفاء والوزراء وهذا راجع إلى كثرة التدوين في العصر العباسي. حيث أن التوقيعات كانت قد تميزت بخاصية ميزتها عن باقي الفنون النثرية الأخرى، وذلك بأمنها كانت تكتب بخط واحد خاص بها، وكان لظهور هذا الفن العناية الفائقة عند العرب فقد أعطوه أهمية بالغة، وذلك لأنه قام بفك الصراعات والنزاعات في ذلك الزمن.

الفصل الثالث

البعد الفكري للتوقيعات في العصر العبّاسي

- أولا: المجال السياسي
- ثانيا: المجال الإجتماعي
- ثالثا: المجال الديني

عرف فن التوقيعات في العصر العباسي مجموعة من النماذج المختلفة كما هي موضحة في الجدول الآتي:

نموذج لتوقيعاتٍ من العصر العباسي

متن التوقيع	المرسل	المرسل إليه	الغرض	الصفحة
<<أنت أيها الأمير أحن منه لأنه يأتي أكله كل عام وأنت تأتي أكلك كل يوم.>>	سعيد بن سلم	أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي	التشجيع والحث على الإجتهاد أكثر وإبراز نقاط القوة.	الثعالبي، خاص الخاص، ص 63.
<< قم بنا! نتنفس هواء الحيرة قبل أن تكدره أنفاس العامة.>>	هارون الرشيد	جعفر بن يحي البرمكي	جانب روحاني يدل على المحافظة على الراحة النفسية واستغلال الوقت فيما يرضي الله عز وجل.	الثعالبي، خاص الخاص، ص 78.
<< إن حلمك أفسد علمك وتراخيك أثر في طاعتك، فخذ لي منك، ولك على نفسك.>>	السفاح	أبو جعفر المنصور	النصح والإرشاد بعدم التهاون والتكاسل، والحزم في التعامل مع النفس والناس.	علي حسين الهنداوي، أشكال الخطاب النثري الفنّي، ص 175.
<< قليل دائم خير من كثير منقطع.>>	عمرو بن مسعدة	جعفر بن يحي البرمكي	الغرض هنا يدل على القناعة والإكتفاء.	منيرة فاعور، فن الطباق في أدب التوقيعات، ص 24.

البعد الفكري:

كان الخلفاء والحكام مهتمين بتشجيع الأدب وهذا ما أدّى إلى التنافس بين الشّعراء، ومن هنا أصبح الشعر ذا قيمة إجتماعية ذات مرجع سياسيّ.

ومن خلال مدح الشعراء أصبح للأدب مكانة مرموقة وكذلك إنتاجه أصبح قويا، والحظوة التي نالها الشعر عن طريق مدح الشعراء للسياسة جعلت الأدب يرتقي.

لقد توسعت مادة التوقيعات وتعددت جوانبها لتعبر عن طائفة من الأبعاد، وقد شملت مجالات مختلفة، منها السياسية، الإجتماعية، والدينية.

أولا: المجال السياسي:

إعتمدت التوقيعات على أبعاد سياسية إنبثقت من روح السياسة في العصر العباسي، اذ كان الخلفاء والوزراء العباسيون يهتمون بكيفية تسيير الدولة والحكم آنذاك، فكانو يتراسلون مع ولاتهم في الأمصار التابعة لهم عن طريق التوقيعات بشقيها الإداري، والسياسي.

ومن ذلك مانجده في توقيع المنصور: << قد كثر شاكوك فإما اعتدلت إما اعتزلت>>[1]؛ وهذا التوقيع وجهه إلى عامل بأن يعتدل وينضبط في معاملة الناس، وإن كان غير قادر على مسؤوليته فعليه أن يعتزل ويترك ذلك العمل لغيره.

[1] عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، خاص الخاص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م، ص 130.

كما جاءت التوقيعات لمحاربة المتمردين في مواجهتهم والحفاظ على الشؤون السياسية للدولة وضمان استقرارها، ومن ذلك ما وقعه جعفر بن يحي البرمكي في قصة مظلوم: << كفى بالله للمظلوم ناصرا>>[1] ؛ وهذا يدل على ثقته بالله عز وجل وأنه سيكون للمظلوم نصيرا ولو بعد حين، وأنه سيتولى المتمردين والطاغين والمفسدين، وأنه على كل شيء رقيب.

ثانيا: المجال الإجتماعي

لقد عالجت التوقيعات قضايا اجنتماعية متعددة أسهمت في حل المشاكل الإجتماعية والنزاعات الحاصلة بين أفراد المجتمعات والرعية. وهذا المجال الإجتماعي للتوقيعات ساهم في نشر صور الأمن والإستقرار بين الرعايا لكي يطمئنوا على أنفسهم وأهاليهم وأعراضهم وأرزاقهم حيث أن الخليفة كثيرا ما يلجأ لتلبية حاجات ومتطلبات الرعية، وأنه يساعد ويرأف بكل محتاج وفقير.

ومن بين التوقيعات التي عالجت القضايا الإجتماعية نجد توقيع أبي العباس السفاح إلى جماعة إشتكوا إليه احتباس أرزاقهم، حيث كتب: <<من صبر في الشدّة شورِكَ في النعمة>>[2] ؛ فهو هنا يأمرهم بالصبر إلى أن يمنحهم حقوقهم ويوافيهم بها.

كذلك نجد توقيع المأمون في قصة متظلم من عمرو بن مسعدة: << يا عمرو عمِّر نعمتك بالعدل فإن الجور يهدمها>>[3] ؛ فهو يأمره بالعدل والمساواة، وتجنب العنصرية لكي لا ينتقم الله منه.

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)، دار المعارف، القاهرة، ط 8، ص 490.
[2] محمود مصطفى، الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي، ج2، ط2، 1937م، ص 95.
[3] م.ن، ص96.

ووقع ذو الكفايتين في رقعة من الخزف عن السلطان، وجاهر بالعصيان: <<ألم نُرَبِّكَ فينا وليدا، ولبثت فينا من عمرك سنين، وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين>>[1]؛ وهو هنا يعاقبه ويتهمه في دينيه وعقيدته، جزاء له على فعلته وعلى جهره بالمعصية.

ونجد كذلك توقيعا ليحيَ بن خالد البرمكي في قصة مستمنح كان قد وصله مرارا: << دع الضرع يدرُّ لغيرك كما درَّ لك>>[2]؛ وهو هنا أراد أن يقوله له: إنه يجب على المؤمن أن يحب لغيره ما يحب لنفسه، أي أن الشيء الذي يستفيد منه وحده من الأحسن أن يستفيد منه غيره كذلك، وهذا من تعميم فعل الخير.

ووقَّع الفضل بن سهل في شفاعة قاتل وجب عليه الحد: <<كتاب الله أحق أن يتبع>>[3]؛ وهو هنا ينصح باتباع الحق وهو كتاب الله تعالى وأن ينفذ حكم الله وهو القصاص ليأخذ كل ظالم جزاءه.

---

[1] أبو منصور الثعالبي، تحفة الوزراء، تح: سعد أبو ديّة، دار البشير، عمان، ط1،. 1993م، ص 100.

[2] محمود مصطفى، م.س، ص 96.

[3] م.ن، ص 96.

ثالثا: المجال الديني

تفرعت التوقيعات الخاصة بالبعد الديني، حيث أنها عالجت جل القضايا التي تتعلق بأمور الدنيا وشرائع الدين، فكانت الرعية تحاول البحث في أمور الدين والفقه وذلك بمعرفة أحكام الشريعة الإسلامية والتحكم فيها لكي لا يقع الناس في الأخطاء.

وقد ألحّت التوقيعات على تطبيق شرع الله تعالى وسنه رسوله وإقامة العدل والمساواة والتخلق بالصفات الحميدة، ومن ذالك ما وقعه زياد بن أبيه في قصة رجل شكا إليه عقوق إبنه:<<ربما كان عقوق الولد من سوء تأديب الوالد>>[1]؛ وهو هنا يشك في ذلك الوالد بأنه لم يحسن تربية ولده ولم يسعَ في غرس القيم النبيلة فيه لذلك صار ولدا عاقا غير مطيع.

ووقع السفاح في كتاب رجل سأله أن يؤدي فريضة الحج:<< ولله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.>>[2]؛ السفاح هنا يرد على الرجل بأن الحج لا يكون إلا على الذي باستطاعته القيام به وذلك في سبيل الله تعالى.

[1] هاشم صالح مناع، مأمون محمود ياسين، النثر في العصر العباسي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1999م، ص 231.

[2] م.ن، ص 224.

الفصل الرابع

البعد الفنّي للتوقيعات في العصر العباسي

- أولا: دراسة المعاني والبديع والبيان والبيان في التوقيعات
- ثانيا: أنواع التوقيعات
- ثالثا: الخصائص الفنية لأدب التوقيعات

البعد الفنّي

يحتوي البعد الفنّي على الكثير من الدراسات الفنمية التي يختلف بعضها عن البعض الآخر، بحيث أنها تضفي لونا من ألوان الجمال في الأسلوب، وتثبت فيه القوة وكمال المعنى، خاصة في مادة التوقيعات التي اعتمدت إعتمادا كبير على هذه الدراسات من أجل الجزالة في اللغة والسهولة والإيجاز الشّديد.

أولا: دراسة المعاني والبديع والبيان في التوقيعات

1- دراسة المعاني (أساليب إنشائية)

أ- الإستفهام: هو طرح السؤال حول أمر ما لغرض الإستجواب، ومن التوقيعات التي جاء فيها الإستفهام نجد توقيع الكفايتين في رقعة من الخزف عن السلطان، وجاهر بالعصيان: <<ألم نُرَبِكَ فينا وليدا، ولبثت فينا من عمرك سنينَ، وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين>>[1]؛ ظهر الإستفهام في هذا التوقيع جملة (ألم نُرَبِكَ فينا وليدا)، والغرض منه هو الحسرة والندم على تربية ذلك العاصي وعلى نشأته بينهم والغضب الشّديد من فعله.

ووقع الصاحب في كتاب إستحسن بلاغته: <<أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون>>[2]؛ جاء الإستفهام في هذا التوقيع في كلمة (أفسحر هذا) و(أم أنتم لا تبصرون)، والغرض منه هو الدهشة والمفاجأة من معجزة عظيمة.

[1] أبو منصور الثعالبي، م.س، ص 100.

[2] م.ن، ص 100.

وفي توقيع آخر للفضل بن يحيَ قيل أنه رآى المهدي في قصره حزمة خيزران فقال للفضل: <<ما تلك؟ فقال: عروق الرمال يا أمير المؤمنين>>[1]؛ لم يُرِد أن يقول (الخيزران)، لموافقته إسم أم الرّشيد؛ أتى الإستفهام هنا في لفضة "ما تلك؟" لغرض معرفة ماهي تلك الحزمة وما بداخلها.

ب- الأمر: يعدَّ واحدا من الأساليب الإنشائية، ومن التوقيعات التي جاء فيها الأمر نجد توقيع المنصور في قصة فقير:<< سل الله من رزقه>>[2]

جاء الأمر في كلمة "سل"، وهو هنا يأمر ذلك الرجل الفقير بأن يتضرع لله تعالى ويسأله أن يعطيه من رزقه.

وكذلك ما نجده في توقيع يحي بن خالك البرمكي وقّع لمظلوم:<<طِبْ نفسا فكفى بالله للمظلوم ناصرا>>[3]؛ جاء الأمر في هذلا التوقيع في لفظة "طِبْ" حيث أنه كان يأمر ويخبر ذلك المظلوم بأن يتحلى بالطبيبة ويترك ظلم وشر العباد للخالق، وأن الله تعالى لا يضيع أجر المظلومين لصبرهم عن الأذيّة وأنه سبحانه وتعالى خير نصير.

وفي توقيع المهدي الخليفة العباسي إلى عامله في إرمينيا :<<خُذْ العفو وأْمُرْ بالعرف واعرض عن الجاهلين>>[4]؛ جاء الأمر هنا في الكلمات الآتية: "خُذْ" و "أْمُرْ"، "أعرِضْ"، وبما أن ذلك العامل الذي جاء يشتكي للمهدي سوءَ طاعة الرّعية له، قام بنصحه بأن يعفو عنهم ويتجاهلهم ذلك أحسن له.

[1] عبد الكريم حسين رعدان، فن التوقيعات في الأدب العربي، مجلة الدراسات الإجتماعية، العدد 34، جامعة خظرموت، 2012م، ص 262

[2] م.ن، ص 96.

[3] محمود مصطفى، م.س، ص 95.

[4] أبو منصور الثعالبي، م.س، ص 100.

ج- النهي: من التوقيعات التي وُظفَ فيها النهي نجد توقيع إبن الفرّات لعلي بن عيسى يستشهده على زور فوقَّع في رُقعته:<<لا تلمني على نكوسي لك عن الشهادة بالزور فإنه لا بقاء، لا اتفاق على نفاق ولا وفاء لذي مين واختلاق>>[1]؛ دخلت "لا" الناهية على كثير من الكلمات: **لاتلمني، لا بقاء، لا وفاء**. وهذا كان ردا من إبن الفرّات لعلي بن عيسى بأن لا يلمه عن رفضه عن شهادة الزور وإن الإتفاق على النفاق والمنكر لا يدوم طويلا، ولا يفلح صاحبه.

ونجد أيضا توقيع الصاحب العباد، حيث رفع إليه علوي قصة بعد قصص أبرم فيها:<<لا تحوجني إلى أن أقول يا نوح إنه ليس من أهلك>>[2]؛ وجاء النهي في هذا التوقيع ردا على ذلك العلوي بأن يكفّ عن أفعاله المزعجة وإلا كشفه وأسقط الستار عليه، وفضحه بحقيقته المخفيه.

وفي توقيع يزيد في أسفل كتاب مسلم إبن عقبة المري الذي كتب إليه بالذي صنع أهل الحُرّة:<< فلا تأسى على القوم الفاسقين>>[3]؛ أتى النهي في هذا التوقيع في كلمة لا تأسى، والغرض منه عدم الحسرة والتأثر بما يفعله القوم الفاسقين، والذين لا يخافون الله عزّ وجل.

[1] إبن اسماعيل الثعالبي، م.س، ص 137.

[2] م.ن، ص 138.

[3] هاشم صالح مناع، مأمون محمود ياسين،م.س، ص 217.

د- الإيجاز: يعد التوقيع نوعا من أنواع الإيجاز، وهو عبارات موجزة بليغة تعود إلى ملوك الفرس ووزرائهم أن يوقعو على أن يقدم إليهم من تظلمات الأفراد في الرعية وشكاويهم، وحاكاهم خلفاء بني العباس ووزرائهم في هذا الصنيع[1].

وخلاصة هذا القول أن التوقيع عبارة موجزة تصدر عن فئة خاصة في المجتمع (الوزراء، الخلفاء، الملوك،....)، وذلك للرد دفاعا عن حقوق الرعية المتمثلة في الظلم والإستبداد بأسلوب يتميز بفصاحة وبلاغة، وبالتالي يستوجب عليه استعمال كلمات وعبارات موجزة تتضمن معانٍ دقيقة ومتعددة.

كان الخلفاء والوزراء يوقّعون دواوينهم بأنفسهم، وفي صياغ هذا المعنى يقول القلقشندي:<<وأعلم أن التوقيع كان يتولاه في ابتداء الأمر الخلفاء، فكان الخليفة هو الذي يوقع في الأمور السلطانية، وفصل المظالم وغيرها...>>[2]

ووقّع الرّشيد إلى علي بن عيسى بن ماهان وقد كتب إليه بقتل العمركي: << بعد القوم الظالمين>> هود.[3]

نوع الإيجاز: إيجاز قِصر، هذا التوقيع جاء اقتباس من القرآن الكريم، حيث هنا دعا بهلاك القوم الظالمين.

ووقّع معاوية:<<نحن الزّمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتّضع>>[4].

[1] شوقي ضيف، م.س، ص 489.

[2] أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ص111.

[3] سورة هود، الآية 44.

[4] إبن اسماعيل الثعالبي، م.س، ص126.

نوع الإيجاز: إيجاز قِصر، هذا التوقيع كان في مجال الفخر.

ووقّع زياد إلى سعد بن العاص، يخطب فيه في كتابه:<<كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى>>، العلق[1].

نوع الإيجاز: إيجاز حذف، حيث هذا التوقيع معناه أنه الإنسان إذا أنعم عليه ربه طغى وتحيّز عن الهدى، وإذا كثر ماله استغنى وتجاوز حده واستكبر على ربه.

ووقّع إلى صاحب النصرانية بالروم:<<أنا بالأثر وعلى الله الظفر>>[2].

نوع الإيجاز: إيجاز حذف، هذا التوقيع يدل على أن الإنسان يعمل على قدر استطاعته وبذل جهده، وأما النصر والتوفيق فيكونا من عند الله تعالى.

[1] سورة العلق، الآية 6-7.

[2] إبن اسماعيل الثعالبي، م.س، ص 131.

كان الخلفاء في بداية الأمر هم من يتولون مسؤولية التوقيع، حيث صار لكل خليفة كاتبا خاصا يثق بيه، إذ أصبح التوقيع مهنة تندرج ضمنها فئة خاصة من الأفراد لهم القدرة والمهارة في التعبير، وحسن الصياغة.

وكانت التوقيعات سابقا تتألف من حرفا واحدا وبعضها من كلمة أو كلمتين، حتى أن صارت جملة أو أكثر، حيث نجد توقيع سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن أبي الخطاب رضي الله عنه من الكوفة يستأذنه في بناء دار الإمارة فوقع إليه:<< إبنِ ما يستر من الشمس ويكنُّ من المطر >>[1].

وكتب إليه نفر من أهل مصر يشكون مروان إبن أبي الحكم. فوقع في كتابهم: <<فإن عصوك فقل إني بيء مما تعملون>>[2] الشعراء.

نوع الإيجاز: هنا إيجاز قصر، هذا التوقيع جاء اقتباس من القرآن الكريم، ويدل على تبريء النفس من جرم المعاصي البشرية.

هناك توقيعات أخرى تكون أكثر من جملة، وهذا ما نجده في توقيع عبد الملك بن مروان الذي وقّع في كتابٍ مُتضح: <<إن كنت صادقا أثبناك، وإن كنت كاذبا عاقبناك، وإن شئت أقلناك>>[3].

[1] إبن اسماعيل الثعالبي، م.س، ص 126.

[2] سورة الشعراء، الآية 216.

[3] هاشم مناع، مأمون ياسين، م.س، 217.

2: دراسة البديع (المحسنات البديعية في التوقيعات)

أ:السّجع: يعدّ السجع من أهم أبواب البديع اللفظي، حيث جاء في مواضيع متعددة ومتنوعة من توقيعات الخلفاء والولّاة والوزراء، من ذلك توقيع بزراويه: <<لا تغتر بكرامة الأمير إذا غشّك الوزير>>[1].

والسجع في كلمتيّ " الأمير" و "الوزير"، جاءت متناسبة مع توقيع بزراويه ومتوافقة معه.

كما نجد أيضا توقيع الصاحب بن عبّاد في الإعتذار عن هارب: <<من خشُنَ مقرّهُ، حَسُنَ مفَرّهُ>>[2].

السجع هنا جاء في كلمتيّ ""مقرّه" و "مفرّه"، حيث جاءت متناسبة مع توقيع الصاحب لهذا الهارب.

ووقّع إلى عامل شكاه أهل عمله: <<إن آثرت العدل حصلت على السلامة، فانصف رعيتك من هذه الضلامة>>[3].

وكان السجع هنا في كلمتيّ "السلامة" و "الضلامة"، حيث جاء في حرفيّ" الألف" و "الميم"، فقد تلائم السجع مع التوقيع وهذا ما دل إلى إيجاز الكلام وحسن الصياغة.

---

[1] أبو منصور الثعالبي، م.س، ص 95.

[2] م.ن، ص 97.

[3] إبن اسماعيل الثعالبي، م.س، ص 132.

ب: الجناس: وهو أن تكون الكلمة تجانِس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها تشبهها في تأليف حروفها، وتتمثل في نوعين (تام وناقص)، جاء في مجموعة من التوقيعات العباسية، مما منحها صورة واضحة، حيث نجد توقيع بزرجمهر يسأله الصفح، فوقّع: <<إذا أحصد الزرعُ فلم يُحصد فسد>>[1]، جاء الجناس الناقص في كلمتيّ "أحصدَ" و" يحصد"، وكان ذلك الإختلاف في حرف واحد وهناك تشابه بين اللفظتين استعان بهما بزرجمهر في توقيعه.

وكتب إليه ابن الفرّات يستشهده على زور، قوقّع في رقعته: <<لا تلمني على نكوصي عن الشهادة لك بالزور، فإنه لابقاء لاتفاق على نفاق، ولا وفاء لذي مين واختلاق، وأحرى بمن تعدى الحق في موافقتك إذا رضي أن يتخطى إلى الباطل في مخالفتك إذا سخط، وبمن كذب لك أن يكذب عليك>>.

جاء الجناس الناقص في كلمتيّ "إتفاق" و "نفاق"، حيث اختلف من ناحية الحرف وهناك تناسب بينها، وهاتي ن اللفظتين أثرتا في المعنى المقصود، وتلائمتا مع التوقيع.

أما الجناس التام فنجده في توقيع الصاحب بن العباد حيث رفع إليه رجلا غريب الوجه يدخل داره ويسترق السمع، فوقّع :<<دارنا خان يدخلها من وفّى ومن خان>>[2]، هنا جاء الجناس التام في كلمة "خان" حيث جاءت في معنيين مختلفين، جاء الأول بمعنى "المكان" أما الثاني فجاء بمعنى "الخيانة".

[1] م.ن، ص 125.

[2] م.ن، ص 137.

ج – المقابلة: برزت التوقيعات في العصر العباسي في نوع آخر من المحسنات البديعية ألا وهي المقابلة، ويعنى بها: <<إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة والمخالفة وبعبارة أخرى هي أن يؤتى بمنعيين متوافقين أو معانٍ متوافقةٍ، ثما بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب>>[1]، ومما نجده في توقيع هارون الرّشيد:<<أنبتته الطاعة وحصدته المعصية>>[2].

جاء التوقيع هنا في جملة مركبة عبارة عن جملتين متقابلتين (انبتته الطاعة)،(حصدته المعصية)؛ فكل جملة تكونت من كلمتين تقابلهما كلمتين في الجملة الثانية فهي تخالفها في المعنى (أنبتته) تقابلها (أحصدته). والطاعة تقابلها المعصية، فقد أفادت هذه المقابلة في إنكار الإستعطاف وحذفه.

وقال عمر بن مسعدة: كتبتُ كتابا إلى عامل فأطلتهُ، فأخذه المأمون من بين يدي، وكتب: <<قد كثُر شاكوك، وقل شاكروكَ>>[3].

جاء التوقيع هنا عبارة عن جملتين متقابلتين " كثُر شاكوك" ، "قل شاكروك"؛ نجد هنا كل جملة تكونت من كلمتين تقابلهما كلمتين في الكلمة الثانية تعاكسها في المعنى: "كثُر" تقابلها "قلَّ"، فقد أفادت هذه المقابلة في حب المصلحة وعدم الإعتراف بالجميل.

[1] محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط1 ، 2003م، ص 72.

[2] حسين علي هنداوي، أشكال الخطاب النثري الفنّي في العصر العباسي، ص 175.

[3] محمد عبد المنعم خفّاجي، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1992م، ص 326.

د – الطباق: جاء الطباق عند علماء البلاغة بأنه الجمع بين المضادين أي معنيين متقابلين في الجملة سواء أكان هذا التقابل حقيقيا أم إعتباريا، كتقابل التضادّ وغيره. لذلك فهو نوعان: طباق الإيجاب وطباق السلب[1].

فطباق الإيجاب هو الذي طغى في التوقيعات على عكس السلب حيث نجد في توقيع طاهر بن الحسين وقّع في رقعة منتصح: <<سننظر أصدقتَ أم كُنتَ من الكاذبين>>[2]، جاء الطباق هنا في كلمتيّ "أصدقت" و "الكذبين"، يدل هذا الطباق على التأمل والتصفح وفيه إرشاد إلى البحث عن الأخبار والكشف عن الحقائق.

ووقّع المأمون إلى الرستمي وقد تظلم منه غريما له: <<ليس من المروءة أن تكون أوانيك من الذهب والفضة، وجارك طاوٍ وغريمك عاوٍ>>[3].

برز الطباق هنا في كلمتيّ "الذهب" و"الفضة" ويدل الطباق هنا على التواضع وعدم التكبر وتجنب العيش في الرخاء والناس من حولنا جياع.

ووقّع الحجاج إلى عبد الملك بن مروان في كتابه يشكو إليه أهل العراق : <<إرفق بهم فإنه لا يكون مع الرفق ما تكره ومع الخرق ما تحب>>[4]، جاء الطباق في كلمتيّ "تكره" و "تحب"؛ يدل هذا الطباق على حسن المعاملة والرفق وهذا خُلُق حسن ومحبب إلى المؤمنين، وتجنب أي تصرف عنيف ومعاملة إنسانية قاسية لأن هذا ليس من الصفات الإنسانية.

---

[1] مصطفى السيد جبر، دراسات في علم البديع، ط 4، 2007م، ص 19.

[2] سورة النمل، الآية 27.

[3] إبن اسماعيل الثعالبي، م.س، ص 127.

[4] م.ن، ص 131.

3 دراسة البيان: الصور البيانية في التوقيعات

أ- التشبيه والإستعارة: يعد التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى، وهو عنصر مهم وبارز في التوقيعات، كما نجد في توقيع الطاهر بن الحسين في رقعة، مستبطأ إياه في الجواب: <<ترك الجواب جواب>>[1]؛ جعل الطاهر بن الحسين هنا أن الصمت حكمة وهو في حدِّ ذاته جواب، وهذا تشبيه بليغ، ومن المتعارف عليه أن النفس البشرية هي التي تختص بالإستجواب.

وفي توقيع ابراهيم بن المهدي: <<إن غفرت فبفضلك، وإن أخذت فبعدلك>>[2]؛ في هذا المثال يشبّه الموقّع مغفرة الخليفة بمغفرة الله، وعدل الخليفة بعدله مُبالغا في ذلك، ومشتطا في ربطه أفعال الخليفة بالحق الإلاهي.

ووقعّ المهدي في كتاب رجل شكى إليه حاجته:<<أتاك الغوث>>[3]؛ شبّه الغوث بالإنسان الذي يجيء ويأتي، حذف المشبّه به وترك بعض لوازمه، وهي إستعارة مكنية.

ووقع الميكالي في رقعة المتعتب شاكٍ:<<النعمة عروس، مهرها الشكر، وثوب صوفهُ النشر>>[4]؛ شبّه النعمة بالعروس وهو تشبيه بليغ.

ب - الإقتباس: لقد شاعت طريقة الإقتباس من القرآن الكريم والإستشهاد بآياته في توقيعات الخلفاء العباسيين ووزراءهم، كما اعتمد الموقعون على النص القرآني في الكثير من توقيعاتهم، لما يختزنه من طاقات تعبيرية وإيحائية ربما لا يجدها في غيرها من النصوص.

---

[1] إبن اسماعيل الثعالبي، م.س، ص 133.

[2] حسين علي هنداوي، م.س، ص 174.

[3] هاشم صالح مناع، م.س، ص 313.

[4] أبو منصور الثعالبي، م.س، ص 97.

ومن التوقيعات التي استشهدت بالقرآن الكريم توقيع هارون الرّشيد لملك الروم: <<وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار>>[1] سورة الرّعد.الآية42، توقيع الرّشيد بهذه الآية يبين أنه كان يرد على ملك الروم ويذكّره بأن الظالمين والكفار مأواهم جهنم خالدون فيها.

ووقع المأمون في قصة متظلم من ابو عيسى أخيه: <<فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون>>[2].

الغرض من هذا التوقيع هو التذكير باليوم الآخر وأنه لا ينفع شيء بعد فوات الأوان.

كذلك ما نجده في توقيع المنصور في قصة رجل، ذكر أن أمير المؤمنين أمر بأرزاق له، وأن الفضل أبطأ بها: <<ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها>>[3]؛ تشير هذه الآية الكريمة على الرد الإيجابي لأصحاب الحاجات، فلا مانع لمن يعطيه الله ويرزقه.

---

[1] هاشم مناع، مأمون ياسين، م.س، ص 219.

[2] أحمد حسين زيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، ص 220.

[3] أميرة عبد المولى حمد الحراحشة، أدب التوقيعات في العصر العباسي، رسالة ماجستير، د.محمد محمود الدرّوبي، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، 2004م، ص 117.

ج – المجاز: يعتبر المجاز اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة مع قرينة على عدم إرادة المعنى الأصلي، كما نجد توقيع أبو جعفر المنصور إلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل:<<طهر عسكرك من الفساد يعطيك النيل القياد>>[1]؛ نجد المجاز هنا في لفظة "عسكر"، حيث أراد الجنود أفراد جيشه، وعلاقة هذا المجاز محلية حيث ذكر المحل وفضّل أهله.

ووقّع أحد الوزراء إلى وكيل له على عمارة بستانية وضياعه: <<إستكثر من شجر الفرصاد، فإن خشبها حطب، وثمرها رطب، وورقها ذهب>>[2]؛ جاء المجاز هنا في كلمة حطب وهي علاقة ما سيكون مستقبلا، حيث أن الخشب سيشكل ويصبح حطبا فيما بعد.

وكذلك نجد في توقيع المنصور في كتاب أتاه من صاحب الهند، يخبره أن الجند شغبوا عليه وكسّروا أقفال بيت المال، فأخذوا أرزاقهم منه: <<لو عدلت لم يشغبوا، ولو وفيت لم ينهبوا>>؛ وفي هذا التوقيع ذكر المنصور ما سيكون في المستقبل بناء على توفر الشرط في الجملة، وهو يريد ما كان في الماضي من عمل الجنود الذين تمرّدوا على الوالي، ويقصد المنصور، وأن يجعل صاحب الهند يتحمل مسؤولية خطأه وأن يحسسه بالذنب لأنه لم يكن عادلا مع الجنود، وذلك ما دفعهم إلى ان ينهبوا ويتعدّوا على بيت المال ويأخذوا أرزاقهم.

[1] محمد عبد المنعم خفّاجي، م.س، ص 325.

[2] أبو منصور الثعالبي، م.س، ص 98–97.

مخطط يظهر أغراض التوقيعات ومجالاتها في العصر العباسي:

ثانيا: أنواع التوقيعات في العصر العباسي

أ – التوقيعات الإسلامية:

<<بئس الزاد إلى الميعاد العدوان على العباد>>[1]؛ هنا يحثنا الله عز وجل لكي نجمع زادنا ليوم القيامة، ففي ذلك اليوم الموعود تعرض الأعمال إلى الله تعالى، وأن الدنيا غاوية للعباد لا خلود فيها.

وقّع أبو جعفر المنصور في كتاب رجل شكى عيلة: <<سل الله من رزقه>>[2]؛ نجد في هذا التوقيع أن أبو جعفر المنصور يرشد ذلك الرجل إلى الدعاء والتضرع واللجوء لله عز وجل، فهو المعطي الرّزاق، ولا يبخل على عباده المؤمنين شيء إذا سألوه، كما قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة {فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ}.

<<الدنيا ساعة فاجعلها طاعة>>، جاء هذا التوقيع عبارة عن نصح وإرشاد عباد الله تعالى بأن يستغلو الحياة الدنيا في طاعته واكتساب الحسنات وتحصيل الزاد للآخرة لأن الدنيا فانية ولا طمع فيها ولا في ملذّاتها الزائفة التي لا دوام لها.

---

[1] عبد الرحمان بن أحمد الإيمام، تطوير التوقيعات الأدبية أسلمتها في عصر العولمة، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، ص 200.

[2] محمد عبد المنعم الخفاجي، م.س، ص 261.

ب – التوقيعات الفكاهية

• أدارك في البصرة، أم البصرة في دارك؟[1]؛ جاء التوقيع هنا بأسلوب هزلي فيه نوع من الإستهزاء والإستهتار.

• إذا لم تستطع أن تقطع يد عدوِّك فقبِّلها[2]؛ يُفهم من هذا التوقيع أنه يجب على الإنسان أن يتجاهل جميع العلاقات السيئة والمؤذية مع خصمه، وأن لا يرد له المعاملة نفسها، أي أنه من المستحسن أن يتركه لكي يتجنب شرَّه ومضرَّته.

ج - التوقيعات السياسية

شغلت الأمور السياسية مراعات الخلفاء العباسيين في كيفية تسيير الحكم، وهناك من التوقيعات ما جاءت تدفع الولاة وتدعوهم إلى لعدل وحسن التسيير والإنظباط في إصدار الأحكام وتطبيق شرع الله وسنته، وكما أنها تنص على المساواة بين الرعية، ومن التوقيعات التي جاءت في هذا الإتجاه نجد توقيع عبد الملك بن مروان:

• <<إذا كنت صادقا أثبناك وإن كنت كاذبا عاقبناك وإن شئت أقلناك>>[3]؛ نفهم من هذا التوقيع أنه يدل على صرامة الحاكم وحرصه على العدل في الحكم.

[1] عبد الرحمان بن أحمد الإمام، م.س، ص 200.

[2] م.ن، ص 200.

[3] هاشم صالح مناع، مأمون محمود ياسين، م.س، ص 217.

• <<إذا بخلت السماء بقطرها جادت يد الملوك بدرها، ولقد أمرنا لكم بما يجبر كسركم ويغني فقركم>>[1]؛ وهذا التوقيع جاء من بهرام وهو أحد الأكاسرة حين رفع إليه أهل اصطخر يشكون احتباس القطر واشتداد القحط، يفهم من هذا أن الملك هو الذي يتولى مسؤولية أهل بلده ويكون دائما ملزوما بتلقي شكاويهم وحل مشاكلهم وأزماتهم.

• <<نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع>>[2]؛ يدل هذا التوقيع على القيم الإنسانية، حيث أن الإنسان هو سيد زمانه، فإن كانت أخلاقه حسنة ومعاملاته البشرية جيدة وعلمه راقٍ فإنه بذالك يصنع لزمانه قيمة وفائدة وإن كان العكس فيكون ذلك الزمان رديئا حسب ردائة الإنسان، فمختصر الحديث أن الإنسان هو المسؤول عن زمانه.

• <<مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل>>[3]؛ والمعنى في هذا التوقيع أنه هو يجب على الإنسان أن يحاسب نفسه ويتبع طريق الحق والصواب، خيرا له من أن يتبع طريق الباطل ويتمادى فيه، لأنه لا فائدة له من ذالك، ولأن الحق هو المنتصر دائما.

هنا تجدر الملاحظة في هذا الجانب السياسيّ بأن الحاكم دائما هو المسيطر الوحيد على الشعب في ساحة الحكم، ولا شك في أن النزاعات التي ترتبط بين الحاكم والمحكوم قد تضرُّ بوحدة الدولة والمجتمع.

[1] عبد الرحمان بن أحمد الأمام، م.س، ص 199.

[2] هاشم صالح مناع، مأمون محمود ياسين، م.س، ص 216.

[3] عبد الرحمان بن أحمد الإمام، م.س، ص 199.

د – التوقيعات الإجتماعية

1– الحِكم والأمثال:

• <<لا تطمع في كل ما تسمع>>[1]؛ يفهم من هذا التوقيع أنه لا يمكن تصديق كل ما يقال، وليس كل كلام منطوق صحيح، وهذا الكلام تلقّاه ملك الرّوم بطلميوس الأصغر، من عامله على الشام في انحياز بعض الملوك الكبار إلى مستقرّه.

• <<العتاب هدية الأحباب>>[2]؛ ويُفهم كذلك من هذا التوقيع أنه كل من يعاتبك هو الذي يريد مصلحتك ويحب لك الخير، وذلك هو المحبوب الصادق.

• <<الأمور بتمامها، والأعمال بخواتمها، والصنائعُ باستدامتها>>[3]؛ والمعنى من هذا أن الأمور تحكمُ وتُقاس على خواتيمها أي نهاياتها وليس من بداياتها.

• <<في بيته يؤتى الحُكم>>[4]، هذا المثل يُضرب للرجل يُلطم فينتقم وهو في داره، وهذا المثل وقّع به على بن أبي طالب إلى طلحة.

تُعدُّ التوقيعات ثمرة من ثمرات الكتابة العربية في العصر العباسي، والتي استفادت من الثقافة الفارسية، بحيث اختلفت وتعددت أنواعُها وكانت توقيعات إسلامية وفكاهية وسياسية واجتماعية.

---

[1] م.ن، ص 200.

[2] م.ن، ص 200.

[3] م.ن، ص 200.

[4] م.ن، ص 200.

رابعا – الخصائص الفنّية لأدب التوقيعات

تُعتبر التوقيعات فن من الفنون النثرية في العصر العباسي، وقد تميزت بخصائص ميزتها عن باقي الفنون الأخرى، ومن أهمها ما يلي:

- جزالة اللغة وسهولتها وإيجازها الشّديد.
- الإبتعاد عن التملق.
- تجنب التكرار.
- الدقة في التعبير وروعته.
- جمال الأسلوب والقوة فيه.
- جمال البعد عن التكلف.
- الإقتباس من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشّريف.
- إستخدام الأسلوب الإنشائي (الأمر، النهي، الإستفهام).
- إستخدام المحسنات البديعية (الطباق، السجع، المقابلة).
- إستخدام الصور البيانية (التشبيه، الكناية، الإستعارة).
- الإعتماد على الحكم والأمثال.

ونقول عن التوقيعات بأنها امتازت بالقِصر حيث أن جُلها كانت قصيرة وموجزة، وأنها مثَّلت النهج البلاغي في العصور الإسلامية.

خاتمة

خاتمة

في ختام هذا البحث الموسوم ب <<البعد الفكري والفني في أدب التوقيعات في العصر العباسي>>، ومن خلال دراستنا لسياقات هذا الفن، وأبعاده، وخصائصه الفنية، توصلنا إلى استخلاص عدد من النتائج، يمكن إجمالها كما يأتي:

– يُعد فن التوقيع نوعا من أنواع الكتابة في العصر العباسي، التي استفادت من الثقافة الفارسية لتنظيم الدواوين والترسل.

– تعود بدايات نشأة التوقيعات إلى ما قبل الإسلام، ثم نمت وتطورت في العصر العباسي والأموي، وازدهرت إزدهارا زاهيا في العصر العباسي.

– عَرف التوقيع تداولا بين الناس شأنه في ذلك شأن الأمثال.

– إزدهرت الكتابة في العصر العباسي لكثرة الدواعي إليها، وقوة الحوافز عليها.

– يعدُ الديوان مستودعا وأرشيفا لحفظ ما يتعلق بحقوق الدولة من الأعمال و الأموال، حيث تعددت الدواوين في العصر العباسي ومن أهمها ديوان البريد، وديوان المظالم، وديوان الأحداث والشرطة، وغير ذالك.

– شملت التوقيعات جميع مجالات الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والدينية.

– إختلفت التوقيعات وتعددت أنواعها وكانت منها التوقيعات الإسلامية، والفكاهية، والإجتماعية، والسياسية.

خاتمة

– تميزت التوقيعات بخصائص فينة، حيت اتُّصِفت من خلال جُملها القصيرة الرّشيقة المسجّعة، فكان معظمها يميل إلى الإيجاز الذي تنوع أسلوبه بين الحذف والقِصر ليدل على التركيز، والمهارة، والدقة.

– إستخدمت التوقيعات بعض المحسنات البديعية كالسجع، والجناس، والطباق، والمقابلة.

– عرفت التوقيعات العباسية طريقة الإقتباس من آيات القرآن الكريم، حتى أصبح الكثير منها حاضرا مُكررا فيها.

– كانت توقيعات الخلفاء والوزراء في العصر العباسي تجمع بين السياسة والأدب.

لم تحظَ التوقيعات بمكانة مرموقة في الأدب العربي على غرار الشعر والخُطب، والأمثال والمقامات، لذلك فهي بحاجة ماسة إلى مزيد من العناية والدراسة، لاستجلاء خصائصها البنائية، والوضيفية، والفكرية، والفنية.

وفي الأخير نسأل الله تعالى أن يكون بحثنا فاتحة للمزيد من الإهتمام والتركيز على هذا الفن.

- **القرآن الكريم.**

المصادر والمراجع.

- المصادر:

- الثعالبي (عبد الملك بن اسماعيل)، خاص الخاص، دارك الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م.

- الثعالبي (أبو منصور)، تحفة الوزراء، تح: سعد أبو دية، دار البشير، عمان، ط1، 1993م.

- ضيف شوقي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، ط 8.

- القلقشندي (أبو العباس أحمد)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: محمد حسين شمس الدين ويوسف علي الطويل، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987م.

- مصطفى محمود، الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي،ج2، ط2، 1973م.

- مناع هاشم، مأمون محمود ياسين، النثر العباسي وأشهر أعلامه، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1999م.

- **المراجع**

- حتى فيليب، تاريخ العرب، دار الكشاف للطباعة والنشر، ج2، 1951م.

- حجاب نبيه محمد، بلاغة الكتاب في العصر العباسي، ط2، 1987م.

- حمدي (عبد المنعم)، ديوان المظالم، نشأته وتطوره وإختصاصاته، دار الشروق، ط1، 1983م.

- خفاجي (عبد المنعم)، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1992م.

- الزيات (محمد حسين)، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة للطبع والنشر، القاهرة.

- سالم (عبد العزيز)، دراسات في تارخ العرب (تاريخ الدوللة العربية)، مؤسسة شباب الجامة للطباعة والنشر.

- السلومي (عبد العزيز عبدالله)، ديوان الجند، نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عصر المأمون، دار مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزية، ط1، 1986م.

- السيد جبر (مصطفى)، دراسات في علم البديع، ط4.

- شلبي (أبو زيد)، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، دار مكتبة وهبة، القاهرة، 2012م.

- فروخ (عمر)، الإسلام والتاريخ، دار الكتاب العربي، مكتبة المهتدين، بيروت، 1983م.

- قاسم (أحمد محمد)، محي الدين ديب، علوم البلاغة، (البديع والبان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ط1، 2003م.

- قدامى (إبن جعفر)، الخرّاج وصناعة الكتاب، تح: محمد حسين الزبيدي، دار الرّشيد للنشر، 1981م.

- ماجد (عبد المنعم)، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأسجلو المخيرية، القاهرة، ط7، 1997م.

- الماوردي (علي بن محمد بين حبيب)، الأحكام السلطانية، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، 2006م.

- مصطفاي (موهوب)، المثالية في الشعر العربي، ديون المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

- الهنداوي (حسين علي)، أشكال الخطاب الفنّي النثري في العصر العباسي.

- هويام عيسى، البريد في العصور الإسلامية (نشأته، تطوره، أغراضه)، 1993م.

- يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخرّاج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.

- **المعاجم**

- الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، كتاب العين، مج:4، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

- وهبة مجدي، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب.

- **المذكرات**

- عبد المولى حمد الحراحشة أميرة، أدب التوقيعات في العصر العباسي، إشراف د.محمد محمود الدروبي، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، 2004م.

- **المجلات**

– رعدان عبد الكريم حسين، فن التوقيعات في الأدب العربي، جامعة خظرموت، كلية التربية سقطرى، مجلة الدراسات الإجتماعية، العدد الرابع والثلاثون، يناير، يونيو، 2012م.

– فاعور منيرة، فن الطباق في أدب التوقيعات، مج 30، مجلد جامعة دمشق، عدد 1 و2، 2014م.

– الإمام عبد الرحمان بن أحمد،تطوير التوقيعات الأدبية وأسلمتها في عصر العولمة، المؤتمر الدولي الرابع في اللغة العربية.

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
مقدمة	أ – ب
الفصل الأول: مفهوم التوقيعات ونشأتها في العصر العباسي	
ماهية التوقيعات	-4-
لغة	-4-
إصطلاحا	-8-
نشأة التوقيعات	-10-
الفصل الثاني: توسع الدواوين وازدهار التوقيعات في العصر العباسي	
تطور الكتابة وتنظيم الدواوين	-12-
إنتشار الإسلام واتصال العرب بالعجم	-32-
إزدهار التوقيعات في العصر العباسي	-36-
أهمية التوقيعات في العصر العباسي	-37-
الفصل الثالث: البعد الفكري للتوقيعات في العصر العباسي	
المجال السياسي	-41-
المجال الإجتماعي	-42-
المجال الديني	-44-
الفصل الرابع: البعد الفنّي للتوقيعات في العصر العباسي	
دراسة المعاني والبديع والبيان في التوقيعات	-46-

أنواع التوقيعات	-60-
الخصائص الفنية لأدب التوقيعات	-64-
خاتمة	-66-
قائمة المصادر والمراجع	-68-
فهرس المحتويات	-72-

الملخص

تناولنا في هذا البحث الموسوم بالبعد الفكري والفنّي في أدب التوقيعات في العصر العباسي إشكالية السياقات والملابسات التي أحاطت بنشأة هذا الفن، وإدماجه في العلاقة العربية الإسلامية، وكيفية تطوره واكتسابه الخصائص الفنية التي أهلته للإرتقاء إلى مستوى اللون الأدبي.

– يتضمن هذا البحث قسمين أحدهما نظري، والآخر تطبيقي، وقد سخر المنهج التاريخي مع الإتكاء على النهج البلاغي لإنجاح خطة البحث والدراسة.

– من أهم النتائج التي خَلُصَ إليها البحث كون هذا اللون الأدبي قائما على الإيجاز والإقتضاب استجابة لوظائفه الإستعجالية في خدمة الدولة سياسيا، واجتماعيا، واقتصاديا، ودينيا، معتمدا على معايير بلاغية تداولية مناسبة للمقامات التواصلية بما يشيع فيها من أساليب نوعية شديدة الإرتباط بالمعاني والبيان والبديع.

the summary

In this research, which is marked by the intellectual and artistic dimension of the literature of signatures in the Abbasid era, we addressed the problem of the contexts and circumstances surrounding the emergence of this art, its integration into the Arab-Islamic relationship, and how it evolved and acquired the artistic characteristics that qualified it to rise to the level of literary color.

- This research includes two sections, one theoretical, the other applied, and the historical approach was harnessed with reclining on the rhetorical approach to the success of the research and study plan.

- One of the most important findings of the research is that this literary color is based on brevity and briefness in response to its urgent functions in the service of the state politically, socially, economically, and religiously, relying on rhetorical standards suitable for communicative residences with common qualitative methods that are very related to meanings, statement and indecisiveness.